

النشرة الأسبوعيةمارس 2008**النص البشري في سوائه وإضطرابه****... قراءة من منظور تطوري**

بروفيسور يجيى الرخاوي

أسبوعيات مارس 2008المجلد 2، الجزء 7- أسبوع 4 . مارس 2008

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



أسبوع 4 : مارس 2008

النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

برونيسلور يحيى الرخاوي

أسبوعيات مارس 2008

الفهرس

- السبت 01-03-2008:
- 1424 183- تحثر الوعى الوطنى (والثقافة)
- الأحد 02-03-2008:
- 1427 184- عودة إلى ملف الإدمان: الإدمان، ومنظومة القيم
- الإثنين 03-03-2008:
- 1436 185- ظاهرة الإدمان: خلفىة وتساؤلات!
- الثلاثاء 04-03-2008:
- 1441 186- فتح ملف الإدمان (3)
- الإربعاء 05-03-2008:
- 1446 187- فتح ملف الإدمان (4)
- الخميس 06-03-2008:
- 1451 188- قراءة فى أحلام فترة النقاهاة* (حلم 39)، (حلم 40)
- الجمعة 07-03-2008:
- 1454 189- حوار/ بريبد الجمعة
- السبت 08-03-2008:
- 1472 190- الحلول الذاتية: "نعمل إيه؟"
"نعمل جمعىة!!"
- الأحد 09-03-2008:
- 1474 191- خلاصة مقدمة ملف الإدمان (5)
- الإثنين 10-03-2008:
- 1483 192- نفْسنة الحىاة المعاصرة، بين العلم والثقافة
- الثلاثاء 11-03-2008:
- 1489 193- الحق فى الفَرْح والفَرْحة "لعبة الضحك"
(1 من 2)
- الإربعاء 12-03-2008:
- 1497 194- الحق فى الفرحة حتى لو ... "لعبة الضحك"
(2 من 2)
- الخميس 13-03-2008:
- 1505 195- قراءة فى أحلام فترة النقاهاة نقدً على نقد!!
- الجمعة 14-03-2008:
- 1520 196- حوار/ بريبد الجمعة

- السبت 15-03-2008:
 1536 197-السياسة واللغة الشبابية والتراث
 الشعبي [1 من 3]
 الأحد 16-03-2008:
 1539 198- الإشراف على العلاج النفسى (4)
 الإثنين 17-03-2008:
 1548 199- سراللعبة: لعبة جديدة
 الثلاثاء 18-03-2008:
 1559 200- أنا مستحيل أقبل أتغير..، إلا لو
 الأربعاء 19-03-2008:
 1566 201- عن الإبداع والعدوان الفروض الأساسية
 (1 من 3)
 الخميس 20-03-2008:
 1583 202- قراءة في أحلام فترة النقاها
 الجمعة 21-03-2008:
 1587 203- حوار بريد الجمعة
 السبت 22-03-2008:
 1608 204- امتداد حوار/ بريد الجمعة
 الأحد 23-03-2008:
 1618 205- لماذا الحديث عن الإبداع والعدوان
 (2 من 3)
 الإثنين 24-03-2008:
 1636 206- مدارس ونظريات وافتراضات أساسية
 الثلاثاء 25-03-2008:
 1648 207- عن الإبداع التوصلى والإبداع الخالقى
 الأربعاء 26-03-2008:
 1659 208- لغة الجنس، والجنس كلغة
 الخميس 27-03-2008:
 1670 209- قراءة في أحلام فترة النقاها
 الجمعة 28-03-2008:
 1676 210- حوار بريد الجمعة
 السبت 29-03-2008:
 1690 211- فرسان العصمر
 الأحد 30-03-2008:
 1694 212- الإشراف على العلاج النفسى (5)
 الإثنين 31-03-2008:
 1704 213- قصة قديمة (ليست كذلك)

السبت 22-03-2008

204- امتداد حوار/ بريد الجمعة

مقدمة:

وعدنا أمس باستكمال حوار/ بريد الجمعة وهذا بعض ذلك، نرجو أن يقوم مقام تعة السبت، مع الاعتذار لمن تبقى من الأصدقاء .

سوف يشمل الجزء الأول من ملحق البريد اليوم بعض ال تعقيبات على فكرة "التدريب عن بعد"،

أما الجزء الثان فهو "متنوعات محدودة" ، بها حوار صعب بين وبين محمد إبي، الله يساعه وبارك فيه .

أولاً: الإشراف على العلاج النفسي

د. أسامة فيكتور

وصلتني فائدة عرض حالات هكذا في تنمية التقمص مما يفيد عملية العلاج،

أعتقد أنه من الأفضل تقديم الحالات دون تعقيب وانتظار ورود أسئلة، لأنه عندما تعقب على الحالات فأنت تغلق باب الأسئلة والاستفسارات بشكل كبير.

د. يحيى:

جاءت معظم الآراء والتعقيبات - يا أسامة- تؤيد هذا الرأي: عرض الحالة دون تقطيعها بالتعقيب أولاً بأول، ومن ذلك أيضاً:

د.محمد يحيى الرخاوي

(أرجح العرض) بدون التعليقات أو التعقيبات الملاحقة بين الفقرات: هذه عينة مناسبة لهذا النشاط الذي أحبه جداً وأستفيد منه جداً. هي عينة متماسكة ذات بداية ونهاية وموضوع وهدف، جميعها غير مشتتة بالتعليقات والروابط الجانبية التي أحياناً ما تبدو غير متعلقة "\irrelevant\" ، أتمنى مواصلة نشر هذه الإشرافات بهذه الطريقة .

أ. عماد فتحي

موافق على أنه ليست هناك حالة مشابهة لحالة أخرى ولكن هذه اليومية بهذا الشكل مفيدة جداً ونشرها هكذا بدون تعليقات يجعلها أكثر تحريكاً، ويشير إلى الخطوط العريضة التي تحرك الأفكار.

د. مجيى:

هذا طيب، شكراً

د. محمود محمد سعد

معتزّض:

ارى أنه مادام الزوج متفاهم، يمكن أن تحب الزوجة زوجها بتاريخها لأن عدم الإخبار هو خيانة، أما إذا ترتب على هذا الإخبار ضرر بسيط، فيجب على الزوجة التحمل.

د. مجيى:

لا يا شيخ؟! ما هذا يا محمود؟ سبحان الله يا أخی! عدم الإخبار لزوج مهزوز هو الخيانة؟ والضرر الذى سيترتب "بسيط" إن شاء الله!! والزوجة وحدها هى التى تتحملة؟ ما كل هذا بالله عليك؟

شعرت يا محمود أن عليك أن تقرأ المناقشة من جديد، وأن تحترم المرأة أكثر كثيراً، وأن ترى خيبة الرجال وضعفهم وغرورهم أكثر بكثير جداً،

ولعلك تحتاج أن ترى ذلك في نفسك أولاً، أو أساساً.

د. تامر فريد

حاولت بكل أمانة أن أتقمص خطيب المريضة، وجدت صعوبة كبيرة، في تقبل ذلك، لم أستطع مساعدتها في البداية وفضلت ألا أعرف. أما بعد ذلك فلا أعرف ماذا جرى،

شعرت أن شيئاً ينقصنى، وأنى أحتاج فرصة كى أخطى ذلك وأتقبل، أما كيف، لا أعرف؟

د. مجيى:

منتهى الأمانة يا تامر، هكذا يمكن أن نحترم ضعفنا وننمو ونحن ندفع الثمن متألمين فخورين.

ثانياً: تعقيبات أخرى

د. محمد مجيى الرخاوى

بقى ده كلام يُنشر كدا في " \ يومية\ " الواحد عاوز يتعود يقرأها " \ يومياً\ "، " \ عالصبح\ "؟

عفواً باهزر بس والله. إنما فعلاً الكلام شديد التكثيف

عفواً باهزر بس والله. إنما فعلاً الكلام شديد التكثيف والرغبة في الإحاطة من أعلى عليين بطريقة تجعل التواصل صعباً. على سبيل المثال (لا الحصر)، لم أفهم: المقصود بفصل الطاقة عن الأداة في الفقرة التالية مأخوذة من المقال:

4- إذا عجزت الغريزة عن التكامل في الارتباطات الأعلى والأمثل قامت بدورها الدافعي لوظائف أرقى- وحتى دون الالتحام بها- مما قد يخفف من احتمال ظهورها بمظهرها البدائي مباشرة، ويعتبر هذا الحل تسوية ناجحة كمرحلة، ولكن استمراره كحل دائم، لا بد وأن يعوق النمو، حيث يفصل الطاقة عن الأداة في حين أن تكاملهما حتمي في المستوى الأعلى من النمو.

د. يحيى:

كان الزعم الشائع الذي وصلني (ويصلني للآن) هو أن الغرائز (والدوافع، وأحياناً العواطف) هي طاقة دافعة أساساً أو تماماً، هي طاقات موظفة لحفظ النوع أو الفرد أو كليهما، لكن رويداً رويداً حين فهمت كيف أنه يستحيل فصل الشكل عن الموضوع، كذلك الدال عن المدلول، (إلا مرحلياً) رجحت أن النمو النابض يسمح بهذا الالتحام بين الطاقة وتفعيلها وتجليتها، فلا تصبح مجرد طاقة يصلح استخدامها لشيء آخر، فرويد حين قال بالتسامي كان يرحب بأن تستعمل طاقة الغريزة الجنسية أداة لبناء الحضارة والمدنية وربما لإنتاج نوع معين من الإبداع، وهذا هو التسامي Sublimation الذي لا أرفضه، لكنني أحفظ ضد أن يقدم باعتباره الحل الأمثل لبدائية الغريزة الجنسية خاصة، أنا أقبله باعتباره مرحلة جيدة، لا أكثر، وبالتالي لا ينبغي أن نصفق له أكثر من اللازم، لأننا بذلك قد نعوق الالتحام الولاقي بين الطاقة وما تدفع إليه وهو المفهوم السابق الإشارة إليه.

الآن (2008) أستطيع أن أضيف أن الإشكال الذي أشر إليه لا يقتصر فقط على انفصال الطاقة عن الأداة وإنما انفصالها عن بقية الطاقات والتجليات التي يتشكل منها - باستمرار- الوجود البشري.

لعلك تعرف يا محمد ما وصلت إليه أخيراً من التركيز على الاهتمام بـ"العملية" Process أكثر من "المحتوى" Content، أو قل: قبل وبعد المحتوى، علمية التوليف الجدلي المتصاعد (بايقاع حيوي نابض) الذي هو أساس النمو في "النظرية الإبداعية التطورية"، التي أتمنى أن أفرد لها وقتاً كافياً قبل أن أرحل. هذه العملية المتنامية المستمرة في تناوب إيقاعي، تتماهى في تكوين "الواحدية" ONENESS، لكي لا تكتمل أبداً. وهي هي العملية التي تعد بأن لا تجعل - في النهاية أو قرب النهاية - الجنس جنساً، ولا العدوان عدواناً، ولا الطاقة طاقة، ولا الأداة أداة، لأنها مع كل نبضة نمو (نبضة حياة) تضيف إلى المشروع البشري (الواحدية) إضافة ليست بمعنى الجمع (كذا + كيت)، وإنما بمعنى تخليق واحدية أكبر على حساب

مكوّناتها، فيصبح الجنس أقل جنسنة لكنه الجنس (الإبداعي)، ويصبح العدوان أقل عدوانية ولكنه العدوان (الإبداعي)، ويصبح الإيمان أقل تدينا لكنه الإيمان التخليقي المتماذي إلى وجهه تعالى الذي ليس كمثله شيء، وهكذا . كل ذلك لحساب أن يصبح الإنسان أكثر إنسانية نحو التناسق الأكبر فالأكبر مما لا نعرفه لأنه في أفق غياب المعرفة التي تمثل الجهل الذي لا ضده، ذلك الجهل الذي يتخلق بالعلم الذي لا ضده.

دعني أتساءل الآن، كما يحدث لي كثيرا وأنا أرجع لبعض أوراقى القديمة أثناء إعدادى هذه النشرة، كيف كتبت هذه الإرهاصات منذ أكثر من ثلاثين عاما، ولم أصل إلى معناها بهذا الوضوح (قال وضوح قال!!) إلا الآن

وبعد

هل يعجبك يا محمد ما أوصلتُنا إليه هكذا ؟ الله يسامحك يا شيخ ! هل اتضحت الأمور أم زدناها تعقيدا؟ ماذا يقول الناس عنا هكذا؟ لا ، والمصيبة التي تثبت طبيعة ما جرجرتنا إليه هو ما جاء في تكملة تعقيبك من استشهادك بما كتبت أنت منذ ربع قرن بالتمام، ولكن دعنا نسمع هذه الجملة الاعترافية أولا:

د. محمد

(2) أليس من المناسب تضمين إشارة لموضوع الذنب، وعلاقته بالعدوان، أو بالخوف من العدوان، الخوف من تجاوز حدود النمو/ الوجود الخالية، الخوف من الإبداع (خصوصاً الخالق)

د. يحيى:

من المناسب ونصف، وأظن أنني سأرجع إلى ذلك طويلا وتفصيلا حين أعود لتناول موضوع الذنب وعلاقته بالإبداع، وكل ما ذكرته يا محمد هنا يستحق النظر مجددا. شكرا.

د. محمد

(3) ذكرتني قراءة (أو إعادة قراءة) هذا المقال، خاصة تناولكم الموازي لدرجة ما بين الجنس والعدوان، بمقطع كنت كتبتة سنة 1983 في الإنسان والتطور (عدد أبريل):

الإنسان والتطور: عدد أبريل 1983، هوامش حوارية حول التطور والغائية (بتصرف طفيف):

فالكائن ناقص يسعى إلى تحقيق ما هو أكمل، والظروف لم تتفق بعد على تنفيذ هذا التحقيق، أليست هذه "قضية" تلح على الكائن، وأتصور أن إلحاح القضية على الكائن تجعله يتحرك في الحيز المتاح له، الحركة النشاط الأعمق والأكمن، متناولا كل ما يمكن تناوله من "غير" أو ذات، أو ذات باعتبارها "غير": الجسم، الماضي، السلوك والشخصية الاجتماعية إلى آخر ما هو مني وأنظر إليه وكأنه ليس أنا... ، أو "غير" باعتباره ذاتاً (الوطن، النوع، الأحياء، الوجود المتحقق).

تلك الحركة التي تتميز بالهدم والتركيب فالإحجام وما فيه من إحجام الذات المقتحمة (بفتح الحاء) بالكون، ثم تغيير الخارج والداخل (الغير والذات) وألاحظ ارتباطاً شديداً لهذه المظاهر بالعدوان، حتى لتقترب من صورته المازالت كامنة. كما تتميز أيضاً بتقبل الكون مقتجماً للذات ومن ثم التفاعل الداخلي للذات مع الكون، وتبين وحدة الاشتراك في الوجود بأشكاله المتغيرة، ثم الإشباع والاعتماد المتبادلين واتخاذ الأدوار، ثم المشاركة في الإبقاء، وألاحظ أيضاً اقتراب هذه المظاهر من بعض ديناميات الجنس.

انتهى مقتطف

لا أعرف إن كانت العلاقة وثيقة أم لا، ولكنني (بمناسبة الذنب) أشعر بالذنب حين أقرأ ما كتبت بهذه اللغة العويصة دون أن أوفر ما يسمح لي بكل هذا التجرؤ. يبدو أن هذه كانت إحدى وظائف\ الإنسان والتطور\". هل كانت هي المصيبة التي لم تكن تكتفى بالسياسة بل بالفلسفة والدين والإيمان والتمصوف يتناولها العامة بكل ما يستطيعون من لغات؟ أعتقد. ربنا يسهل.

د. يحيى:

أولاً:

هل هذا كلام يا محمد يكتبه شاب في العشرين من عمره؟ هل تذكر؟ لقد فرحت باستشهادك هذا الذي كتبته وأنت في تلك السن، لأقارنه بما تعترض عليه من صعوبة تعبيرى عن ما أحاول تقديمه الآن. ثم لعل في ذلك دليلاً على أن نوع هذه الخيبة وراثى بشكل ما .

طيب دعني أشهدك وأشهد القارئ: أى منا أصعب يا شيخ!!

وثانياً:

ألم تلاحظ أن مقتطفك به ملامح من ردى عليك في الفقرة السابقة عن الواحدية "التتكون" (ألف لام التعريف تدخل على الفعل المضارع "تكون، واللى عاجبه!) باستمرار، مع أن ردى هذا ما وصلت إليه هكذا إلا مؤخرًا، ثم أجدك قد أخت إليه من ربع قرن، أليس هذا هو ما أشرت إليه في نشرة سابقة في 12-11-2007 "عن المصادقة بالاتفاق"، لكنها مصادقية مشكوك فيها بسبب العامل الوراثى غالباً،

ثالثاً:

لعلك تعرف، فتصدقنى، أنه لا أنا ولا أنت ولا نحن قد أصدرنا مجلة "الإنسان والتطور" آنذاك، والى ظلت توزع مائتي نسخة (كل ثلاثة أشهر) بالكاد طوال عشرين عاماً (مع التوقف المتكرر) ، إذن من الذى أصدرها لتقوم بهذا الدور رغماً عنا، مجرد الإلحاح القهري أن تظل تصدر فصلية طوال هذه المدة؟

ألا يسمح ذلك لنا أن نتصور أن هذه النشرة الحالية ربما صدرت أيضا وحدها لتؤدي نفس الوظيفة، فترغمنا، وهي تستعملنا، أن نقول مثل هذا الكلام الذي لا معنى له إلا ما يحمل من معان؟

بس خلاص

فوت هذه يا محمد حتى لا يتهمونا بكذا وكيت يا شخي
الله يساعك.

#####

أ. يوسف عذب (عن نشرات الإدمان)

رائعة فكرة التسليم بشكل مبدئي بفكرة تقليل الوعي
مؤقتا لتناسب الرؤية مع القدرة،

مع الربع من إساءة فهم هذا الموضوع

د. يحيى:

طيب يا يوسف، ماذا نفع وإساءة الفهم واردة في كل
كلمة وكل حركة، نحن نلقى بما عندنا وعلى المتلقى تحمل
مسئولية تأويله واستعماله ، أو سوء استعماله يا أخی،
..الله !!!

أ. يوسف عذب

سؤال : سهل انت طارح هذا على مستوى الفرد والمجتمع؟ أم
ماذا؟

د. يحيى:

طبعا على مستوى الفرد، و على مستوى المجتمع،

وأيضا على مستوى "ماذا"

شكراً .

#####

د. محمد غنيمي

ماذا هذه التفرقة بين لغة شبابية وأخرى غير شبابية ؟
وإذا قبلنا التفرقة ، فما هي اللغة غير الشبابية إذن
(علشان نتعلمها من أجلهم ، يمكن يرمحوا أنفسهم من الاندهاش
، أو على الأصح من تصنع الاندهاش)؟ الحقيقة أن دهشة حضور
الندوة من دفاع حضرتك عن لغة الشباب (ثم الرفض والحذر)
تستلزم دهشة منها هي الأخرى ، حيث أنه لم يتضح جيدا السبب
وراء اعتبارهم لغة الشباب (لغتنا) مثلا لتدهور اللغة ،
فنحن (الشباب) على أى حال لا نتكلم بطلامس منطوقة ، وطالما
أن كل كلمة تقال من قبل طرف يتم فهمها جيدا من قبل
الطرف الآخر ، فهي عندئذ لغة . ثم إننا نستخدمها كوسيلة
للإبداع أيضا ، إذن فهي لغة ينبغى أن تحترم . وإذا كانوا لا

يقبلونها أو لا يفهمونها (أو يدعون ذلك)، فهذه ليست مشكلتنا (نحن الشباب). لعل هؤلاء الذين يسمون بالنخبة المثقفة يدركون جيدا أن لغتهم الآن هي ذات اللغة التي كانوا يتحدثون بها أيام شباهم ، ولعل آباءهم وأجدادهم رفضوا أيضا وأموها لغة شبابية وقتئذ ، ولعلنا أيضا نرفض لغة أبنائنا وأحفادنا في المستقبل ، وهذا ما لا أتمنى حدوثه ، رغم شدة توقع حدوثه.

د. يحيى:

أعتقد أن هذا بعض ما أعنى ، وليس كله، وسوف تعرف أنني أدافع ليس فقط عن خصوصية أو سهولة لغة الشباب، وإنما أيضا عن اللغة التي يسمونها "بيئة"، وعن "سيم" المدمنين، وعن أية لغة تقوم بالتواصل بشكل أعمق وأهم من هذه الأصوات إياها التي يتبادلها الصفوة وبعض المثقفين.

#####

د. إيمان كامل محمد

(كتبت بالإنجليزية)

بعد شكوى رقيقة من صمت الزوج وانشغاله بمشاغله طلبت إيمان أن (أو سألت كيف) يكون زوجها صديقها،

ثم أضافت بالعربية:

لا يوجد بيننا أى حوار

د. يحيى:

يا إيمان، قمت مؤخرا بإجراء حوارات تليفزيونية عن "الخرس الزوجي"، وهي موجودة بالموقع ويمكن الرجوع إليها الأول: (الخرس الزوجي بين الزوجين)، والثاني: (الصمت وأثاره عند الزوجين)، وإن كان ما بها قد تسطح نتيجة تدخل المذيعات العشوائى برغم اجتهادهن.

أحيانا يكون الصمت يا إيمان أفضل من الكذب على كل حال،

الصمت ليس واحدا، الصمت أنواع وأنواع

كتبت في كتابي حكمة الجانين 1980 (الفقرة 935) ما يلي: الصمت أنواع، والعيون، والفعل اللاحق، هما أدوات تشخيصه فاحذر من الخلط، فهلا تعرفت على:

- الصمت المدت: وهو أنانية وإلغاء للآخرين
- والصمت الخائف: وهو المحافظة على مظهر الحكمة، مع الخوف من التعرّى دون حساب
- والصمت الخبيث: وهو الذى يشتري ولايبيع، اتقانا لصفقة الشطار
- والصمت الساخر: وهو الذى ينظر من أعلى على كل آخر

• والصمت المتأمل: وهو الذى يجسّن الاستماع ليستوعب التفاصيل

• والصمت البقظ: وهو الرحلة المتصلة الصادقة بين الداخل والخارج وبالعكس، احتراماً للكلمة الفعل المسؤولة .

فمن كان يؤمن بالحق والمصير، فليقل 'خيراً' أو ليصمت .

فأى صمت هو صمت زوجك يا إيمان، وأى كلام هو كلامنا وكلامه؟

العلاقات البشرية - يا إيمان- سواء بين الأصدقاء أو الحبين أو الأزواج والزوجات هى من أصعب ما يمكن إذا أردنا تواصلًا بحق،

يمكن مراجعة نشرات (الأسرة والثقافة والطب النفسى والإدمان "1")، (تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر)

#

أ. قدرى عبد العظيم

(تعقيباً على اعترافى له بتخوفى أن يكون استمرارى قهراً فى كتابة هذه النشرة أشبه بمن يجمع أموالاً لا ينفقها)

هناك فرق كبير وكثير ما بين الطمع فى تنمية الوعى فى بلد مفيش فيه وعى، وما بين جمع فلوس للورثة الأندال

د. يحيى:

تعقيبك الكريم هذا يا قدرى لن يعفنى من مسئولية تساؤلى عن وجه الشبه بين من يواصل عملاً ما بطريقة قهرية حتى لو بدا مفيداً للناس، وبين من يواصل جمع ما قد يقوم الورثة بمجمل أمانته، أو الانتحار به.

من يدرى أيهما أفضل أو أبقى؟

ضبط الجرعة صعب يا قدرى

والقدرة على التوقف تحدّ متجدد

لن أعفى نفسى من قبوله أبداً

#

د. كريم شوقى

كلام، طَلَبَ عدم نشره،

د. يحيى:

رسالة بعد غيبة .

وبرغم تحذيرك سوف أرد عليك، فقد أوحشتنا

مذاكرة،

ورؤية،

واعتراف،

وأسرار

عالبركة.

د. كريم شوقي

قال غاندي واصفا عدوانه الخلاق, First they ignore you, then they laugh at you, then they fight you, then you win

في البداية سيتجاهلونك، ثم يسخرون منك، ثم يحاربونك، ثم تنتصر!

اتفق معك تماما ان الابداع الخالقي هو الأقدر علي استيعاب غريزة العدوان من الابداع التواصلي ... كما أرجو تطعيم هذا التنظير الغزير بأمثلة أكثر لتيسير الفهم، وذلك لصعوبة الموضوع و ضمانا لعدم التباس المعاني على القراء

د. يحيى:

عندك حق، فالمقال مزدحم، و يحتاج لتفصيل واستشهادات أرجو أن تتاح الفرصة لكل ذلك حين أكتب "كتاب الغرائز".

#####

أ. رامى عادل

ممكن برضه ياخدونا على توشكي نعمرها بالإكراه .
أو يجلّوا المدمنين يحفروا حفر ويردموها كده طول الوقت لحد ما يبان لنا صاحب.

د. يحيى:

طب بس يالله!!

أ. رامى عادل

المهدئات أفضل من ان نتعصب لدرجة الإجرام
انا سمعت خير مشموم بان فيه مخدرات بجرعات صحيه .

د. يحيى:

عندك حق

أ. رامى عادل

وصف نجيب محفوظ للسيد احمد عبد الجواد وهو يستيقظ ثم ياخذ دش ساقع فيتناول الفطور الى آخره من اروع ايات الادب المتفنسن.

د. يحيى:

لا أوافق،

ولا أحب هذا التعبير اللطيف السخيف (المتنفسن)،
وبالذات إذا وصف به أدب محفوظ.

أ. رامى عادل:

إفرح يا عم يحيى، احنا اراجوزات بحق وحقيق.
اصلي حسيت أول امبراح اننا في حفله تنكرية..

د. يحيى:

أرجو أن ترجع حلم نجيب محفوظ رقم (5) وقراءتى له

أ. رامى عادل

بيقولوا السياسيين بيلونوا علي البشر .
وشويه شويه حا يجيبوا لنا نداغه وسكر نبات.
علي فكره الريس بيقول ان مدة الحكم أشغال
شاقة

د. يحيى:

ربنا يعينه علينا !!

205- لماذا الحديث عن الإبداع والعدوان (2 من 3)

المنهج والتحدى، والشئ لزوم الشئ
بعض مدارس ونظريات: في النفس والإنسان

مقدمة:

ما كادت الحلقة الأولى عن هذه القضية (العدوان والإبداع) تظهر، حتى وصلتني تساؤلات كنت أتصور أنها سوف تختلف عن تلك التي وصلتني منذ أكثر من ربع قرن، أغلبها كان يدور حول ما يلي:

- توجس من الدفاع عن العدوان
 - خوف من التزاوج (السلي) بين الجنس والعدوان
 - شكاوى من صعوبة العرض وفرط التداخل والتكثيف
 - احتجاج على فرط التقييم
 - دفاع عن فرويد. (وكأنني هاجمته)
- .. وغير ذلك

كمثال من بعض ذلك، برغم أنه نشر أمس ضمن امتداد حوار بريد الجمعة، إلا أنني رجحت أنه ليس كل الزوار (القراء) يتابعون حوار الجمعة بما يسمح لي أن أعتد على ذلك. وفيما يلي التعقيب والرد، كمقدمة، (مع تعديل أو إضافة بضع كلمات هنا وهناك)

محمد يحيى الرخاوي

بقى ده كلام يُنشر كدا في "أيومية" الواحد عاوز يتعود
يقراها "أيومية"، "الصباح"؟

عفواً باهزر بس والله. إنما فعلاً الكلام شديد التكثيف
والرغبة في الإحاطة من أعلى عليين بطريقة تجعل التواصل صعباً.

على سبيل المثال (لا الحصر)، لم أفهم:

المقصود بفصل الطاقة عن الأداة في الفقرة التالية
مأخوذة من المقال:

4- إذا عجزت الغريزة عن التكامل في الارتباطات الأعلى والأشمل قامت بدورها الدافعي لوظائف أرقى- وحتى دون الالتحام بها- مما قد يخفف من احتمال ظهورها بمظهرها البدائي مباشرة، ويعتبر هذا الحل تسوية ناجحة كمرحلة، ولكن استمراره كحل دائم، لا بد وأن يعوق النمو، حيث يفصل الطاقة عن الأداة في حين أن تكاملهما حتمي في المستوى الأعلى من النمو.

د. يحيى:

كان الزعم الشائع الذي وصلني (ويصلني حتى الآن) هو أن الغرائز (والدوافع، وأحياناً العواطف) هي طاقة دافعة أساساً أو تماماً، وهي طاقات موظفة لحفظ النوع أو الفرد أو كليهما، لكن رويداً رويداً حين عرفت كيف أنه يستحيل فصل الشكل عن الموضوع، كذلك الدال عن المدلول، (إلا مرحلياً) رجحت أن النمو النابض يسمح بهذا الالتحام بين الطاقة وتفعيلها وتجلياتها، فلا تصبح مجرد طاقة يصلح استخدامها لشيء آخر، فرويد حين قال بالتسامي كان يرحب بأن تستعمل طاقة الغريزة الجنسية أداة لبناء الحضارة والمدنية وربما لإنتاج نوع معين من الإبداع، وهذا هو التسامي Sublimation الذي لا أرفضه، لكنني أحفظ ضد أن يقدم باعتباره الحل الأمثل لبدائية الغريزة الجنسية خاصة، أنا أقبله باعتباره مرحلة جيدة، لا أكثر، وبالتالي لا ينبغي أن نصف له أكثر من اللازم، لأننا بذلك قد نعوق الالتحام الولاقي بين الطاقة وما تدفع إليه وهو المفهوم السابق الإشارة إليه.

الآن (سنة 2008) أستطيع أن أضيف أن الإشكال الذي أشر إليه لا يقتصر فقط على زعم انفصال الطاقة عن الأداة وإنما انفصالها عن بقية الطاقات والتجليات التي يتشكل منها - باستمرار - الوجود البشري.

لعلك تعرف يا محمد ما وصلت إليه أخيراً من التركيز على الاهتمام بـ"العملية" Process أكثر من "المحتوى" Content، أو قل: قبل وبعد المحتوى، عملية التوليف الجدلي المتصاعد (بإيقاع حيوي نابض) الذي هو أساس النمو في "النظرية الإبداعية التطورية"، التي أتمنى أن أفرد لها وقتاً كافياً قبل أن أرحل. هذه العملية المتنامية المستمرة في تناوب إيقاعي، تتماهى في تكوين "الواحدية" ONENESS، لكي لا تكتمل أبداً. وهي هي العملية التي تعد بأن لا تجعل - في النهاية أو قرب النهاية - الجنس جنساً، ولا العدوان عدواناً، ولا الطاقة طاقة، ولا الأداة أداة، لأنها مع كل نبضة نمو (نبضة حياة) تضيف إلى المشروع البشري (الواحدية) إضافة ليست بمعنى الجمع (كذا + كيت)، وإنما بمعنى تخليق واحدة أكبر على حساب مكوّناتها، فيصبح الجنس أقل جنسنة لكنه الجنس الجنس (الإبداع)، ويصبح العدوان أقل عدوانية ولكنه العدوان العدوان (الإبداع)، ويصبح الإيمان أقل ديناً لكنه الإيمان (الإبداع) المتماهى إلى وجه الحق تعالى، الذي ليس كمثل شيء، وهكذا .

كل ذلك لحساب أن يصبح الإنسان أكثر إنسانية نحو التناسق الأكبر فالأكبر مما لا نعرفه لأنه في أفق غياب المعرفة بما يمثل الجهل الذي لا ضد له، ذلك الجهل الذي يتخلق بالعلم الذي لا ضد له، وهكذا يتواصل النمو الذي أسيه إبداعا.

وبعد

هل يعجبك يا محمد ما أوصلتنا إليه هكذا ؟ الله يسامحك يا شيخ !
هل اتضحت الأمور أم زناها تعقيدا؟ ماذا يقول الناس
عنا هكذا؟

(انتهى المقتطف من يومية أمس)

الآن أستطيع أن أجيب على السؤال الذي انتهت به هذه
الفقرة قائلا: إننا زناها تعقيدا.

عدت أقرأ الجزء الأول من موضوع العدوان والإبداع، وهو الذي تم نشره ، ثم مسودة الجزء الثاني والثالث (وكان من المفروض نشرهما اليوم وغدا) فوجدت أن المسألة تحتاج فعلا إلى وقفة وتوضيح ومتابعة، وذلك حتى أمكن من الرد على التساؤلات التي طرحت من يثق في أنني أريد أن أبلغ شيئا، أو من يحتج أنني لا أبلغ شيئا،

وفيما بعض ما وصلني بالإضافة إلى التساؤلات التي تجلت لي
منى شخصيا:

تساؤلات

• هل هذه الأطروحة تتناول أساسا قضية الإبداع أم قضية
العدوان؟

• أليس الإبداع، كما شاع عنه على الأقل، هو من أرقى
وظائف البشر؟ فكيف نربطه هكذا بالغرائز (سواء الجنس أو
العدوان)، وقد شاع عن كل ما هو غريزة أنها من أوائل
دوافع البقاء الفجة التي تشترك فيها أغلب الأحياء مهما
كانت مرتبتها على سلم التطور؟

• ثم ما علاقة الجنس بالعدوان، سواء في جذور أصولهما، أو في
تجليات نموها لدرجة أن يحتوى كل منهما نوعا فائقا من الإبداع.

• ثم هذا التقسيم إلى إبداع تواصلى وإبداع خالقي وربط
كل منهما بغريزة بذاتها، ما علاقته بتقسيمات الإبداع
الأخرى، ومستوياته (هذا التساؤل أنا الذي طرحته على
نفسى، خاصة أن لي تقسيمات أخرى عديدة من منطلقات مختلفة،
أنظر مثلا (حركية الوجود وتجليات الإبداع)؟

• وما الفرق بين أن نتسامى عن أى منهما ترويضاً
لبدائية كل منهما وارتقاء عنهما (وليس بالضرورة بهما)،
وبين أن تتجلى الغريزة هى فى شكل أرقى أكثر تكاملا وفى
نفس الوقت أعقد إبداعا؟

• ثم ما علاقة كل ذلك بالنمو النفسى، وبالمرض النفسى، وب علاجه؟

• وأخيرا: كيف ندرس عملية الإبداع ذاتها ونحن لا نملك لكشفها هي بما هي، فمن ناحية هي أخصى من أن تتحدد للدراسة، ومن ناحية أخرى نجد أن بعض مراحلها قد يتم في مساحة متناهية الصغر من الزمن بحيث يستحيل فحصها، إن كل ما يمكن أن يتاح فحصه هو إما الناتج الإبداعى، أو بعض ما يعيه المبدع فيما يمكن أن يكون في متناول وعيه الظاهر، وفي حدود قدرته عن التعبير عنه، الأمر الذى لا يمكن الجزم بأنه يمثل عملية الإبداع ذاتها بالدقة الموضوعية المأمولة؟

• ثم أخيرا: نحن في ماذا؟ أم ماذا؟ هل هذا وقته في مثل هذه النشرة اليومية؟

•

أقر وأعترف أننى أحترم كل هذه الأسئلة

وأنى أنا الذى وضعت أغلبها (لم يسألنى أحد)

وأنى جاهز للرد عليها

وسوف أبدأ بالرد على السؤال الأول اليوم، فالمسألة قد تحتاج شهورا أو كتابا

ولعلى أتمكن أن أعرض غدا جداول تسمح بالمقارنة بين الجنس والعدوان من جهة، ثم بين الإبداع التواصلى والإبداع الخالقى

خلنا اليوم في: السؤال الأول

• هل هذه الأطروحة تتناول أساسا قضية الإبداع أم قضية العدوان؟

الرد الجاهز هو: إنها تتناولهما معا، وهو رد هروبي لا يفيد شيئا.

الرد الأحسن قليلا: إنها تتناول العلاقة بينهما

الرد الأهم يقول:

راجعت نفسى فإذا بي وأنا أتعرض لهذه الأساسيات، إنما أتناول قضية النمو البشرى أساسا، بل قضية الطبيعة البشرية التى تجنبت مؤخرا أن أسميها "الفطرة" مع أنها كذلك، تجنبت مرحليا استعمال هذه الكلمة نظرا لاختزالها أحيانا من بعض المتلقين إلى ما لا أعنى.

لماذا البحث في الإبداع من طبيب نفسى؟

ولماذا البحث في العدوان (والغرائز) من طبيب نفسى؟

لأننا نبحث الطبيعة البشرية حين تعتل أو تحتل وهو ما يلزم هذا الطبيب النفسى بعلاجها !!

هل يمكن أن ندعى أننا نعالج إنسانا مريضا (نفسيا) دون أن نعرف من هو الإنسان عموما، ثم بعد ذلك من هو هذا الشخص تحديدا؟

حين راجعت أغلب النظريات المعاصرة في علم النفس (كان ذلك سنة 1980) وكان مقررا علينا مثل ذلك أثناء دراسي الماجستير في كتاب بهذا الاسم، بل لعل الاسم كان "المدارس المعاصرة لعلم النفس" تأليف وودورث **Contemporary Schools of Psychology Woodworth**، كنت آنذاك (1980) أبحث عن جدوى دراسة هذه النظريات للطبيب النفسي، ذلك أتى بعد أن صرت ممتحنا لا طالبا، كنت أسأل طلبة الماجستير نفس السؤال ليس فقط بالنسبة لعلم النفس، بل أيضا بالنسبة للعلوم الأساسية، وبالذات علم التشريح العصبي، السؤال هو: **ماذا يفيدك في ما درست في العلم الفلاني في أذائك الفعلي لمهمتك كطبيب؟** وكان الطالب (الطبيب) ينزعج لأنه لم يحظر على باله هذا السؤال أثناء دراسته، كل ما كان عليه هو أن يعرف المقرر، ويحفظه، ثم يسمعه في الامتحان، أما أن يفاجأ بالتساؤل حول جدوى ذلك، فهذا ليس من اختصاصه وإنما هو من اختصاص واضع المنهج، وكنت أطمئن أنه هذا السؤال، ومثله، لن يحاسب عليه، (لأنه - السؤال- ليس في المقرر)، وحين تجرأت وناقشت هذه المسألة مع زملائي ووضعي المناهج حسبوني أمزج، وحين ترأست القسم لمدة أربع سنوات، لم أتمكن من تعديل المقررات إلا في حدود شديدة الضيق، وقد بلغني بعد أن تركت رئاسة القسم أنهم تراجعوا عنها.

سنة 1980 راجعت أكثر من عشرين من هذه النظريات والمدارس، وحاولت - بالنسبة لكل نظرية - أن أبحث عن الأساسيات البدئية للمفاهيم الأساسية التي تجيب على أسئلة أساسية تقول:

1. من هو الإنسان؟
2. ما هو مفهوم الصحة النفسية؟
3. ما هو مفهوم المرض؟
4. إذن: كيف العلاج؟ (من وجهة نظر هذه النظرية بوجه خاص؟)

إذا لم نجب نحن الأطباء عن هذه الأسئلة، فما جدوى أن ندرس هذه المدرسة أو تلك، نحن أطباء نفسيون، ولسنا فلاسفة،

الفلسفة تدور كثيرا حول كليات منها السؤال الأول، وإلى درجة أقل الثاني، ولكنها لا تُعنى كثيرا بالسؤال الثالث والرابع،

الطب النفسي (أغلبه الآن) يبدأ من السؤال الثاني (خفيف خفيف) ثم يجد نفسه مستغرقا في السؤال الثالث والرابع.

أي طبيب نفسي لو تمنع الأمر، لوجد السؤال الأول والثاني حاضرين كأقوى ما يكون داخله أو داخل داخله،

وبما أن المسألة في الداخل هكذا (دعنا الآن من كلمة اللاشعور كما جنبنا كلمة الفطرة مؤقتا)، فإنه (الطبيب) يمارس مهنته، بما في ذلك اختياراته وتفضيله هذا العلاج عن ذلك، وقياسه فاعلية ما يفعل نوعا وكما، يفعل كل ذلك من خلال تأثير **السؤال الأول والثاني** (عن الإنسان والصحة)، سواء اعترف بذلك لنفسه أم لا.

كثير من الأطباء يتصورون أن هذه مسائل نظرية لا تعنيهم، لكن واقع الأمر أنهم يمارسون مهنتهم من خلال إجابتهم عنها دون أن يدروا،

وأستطيع أن أتصور أن هناك إجابتين خطيرتين تكمنان داخل كل طبيب نفسى، تحددان اختياراته وممارساته، وكل إجابة منهما تشير إلى الرد على السؤال الأول والثاني معا

الإجابة الأولى: (مرة أخرى من داخل داخل الطبيب)

الإنسان هو ما أمثله أنا شخصا، والصحة النفسية تقاس بما أنا فيه وما أفعله وأريده أو أرجو أن أكونه.

الإجابة الثانية:

إن مفهوم ماهية الإنسان هو أمر لا يعنينى لأننى لا أتفلسف، والصحة النفسية هى ما أقرأ عنه في أمهات الكتب الطبفسية جدا، والمجلات العلمية المحكمة جدا جدا، الممولة بالسلامة من شركات الدواء الأحدث فالأحدث.

اكتشفت الآن، (خاصة وأنا أرد على تساؤلات محمد إبنى، أننى حين وضعت نظريتي ("النظرية الإيقاعية التطورية") كان يشغلنى هذا الشاغل الذى يمثل الإجابة الأرجح لهذه الأسئلة الأربعة، وربما هذا هو ما دعانى إلى الغوص فى جذور مثل هذه المسائل الأساسية هكذا، ومن بينها **الجنس والعدوان والإبداع والمرض واللغة والنمو البشرى والنقد والتطور الحوى**،

وهل يحتاج الأمر إلى شرح علاقة كل ذلك بممارسة الطب النفسى؟

نعم يحتاج

ولكن دعونا ننظر فى بعض تلك النظريات التى سمعتها منذ أكثر من نصف قرن (ولم تنشر كالعادة)

ولكن قبل ذلك لابد من الإشارة إلى صعوبة تعريف الإنسان خاصة حالة كونه صحيحا نفسيا (**ملحق كتاب حرة طبيب نفسى "مستويات الصحة النفسية على طريق التطور الفردى"**)، وذلك مقارنة بتعريف المرض، أما تعريف العلاج، فهو قد يكون أسهل ما دمنا نجرأنا وعرفنا المرض.

وفيما يلى بعض محاولاتى السابقة لتحديد شديد الإيجاز، قابل للخطأ لهذه المفاهيم الضرورية أن تكون شعورية، بدلا من أن تلعب من ورائنا دورا لا نعرفه.

- مفهوم الإنسان
- مفهوم الصحة النفسية
- مفهوم المرض
- مفهوم العلاج

هذا وقد قسمت المدارس المختلفة إلى سبعة مجموعات (متداخل بعضها في بعض آخر بالضرورة) لتشمل كلها ثلاثا وعشرين مدرسة ونظرية .

قبل أن أعرض مجمل ما فعلت سنة 1980 (ولم أدرسه ولم أنشره) أنبه إلى أنه في الربع قرن الأخير ظهرت مدارس ونظريات جديدة غاية في الأهمية وبالذات في مجال ما يسمى العلم المعرفي والعلم المعرفي العصبي مما سأعود إليه مستقلا في الوقت المناسب. إن ظهور هذه النظريات الجديدة، أو تطور النظريات القديمة له دالتان هامتان:

الأولى: إن تعدد هذه النظريات إنما يدل على صعوبة ما تتناوله وغموضه،

الثانية: إن باب الاجتهاد لم يقفل، ولا ينبغي أن يقفل ما دامت المعرفة منفتحة .

وفيما يلي ما سبق كتابته بالإنجليزية، ونظرا لضيق الوقت سوف أنشره كما كتب سنة 1980 مع كل اعتدالي بسبب العجلة أن أكتفى اليوم بنشره هكذا،

وأصح كل ما لا يقرأ الإنجليزية أو لا يجيها - مثلي- أن ينتقل فورا إلى التعقيب النهائي دون أن ينشغل اليوم بهذا الجزء الغريب، لأنني سأعود إليه باللغة العربية مرارا وتكرارا.

ثم إنه من البديهي أنني في نهاية المطاف ، سوف أعود إلى ربط كل ذلك - بشكل ما- بعلاقته بفروض الإبداع والعدوان، وما يتصل بها.

مجموعات المدارس والنظريات

عن الإنسان ونفسه وصحته واعتلاله (1980)

THE FIRST GROUP

The First Group (Psychoanalysis and related theories):

By related I mean "originating from and sharing basic orientation with." The terms post-Freudian (historical) and neo- Freudian (more elaborate) are but misnomers. Some theories that have definitely originated from psychoanalysis (like Jung and Adler) are put elsewhere according to the dominance of other significant characteristics.

1) classical Psychoanalysis (Freud Sigmund)

MAN is directed by the outcome of his unconscious make up; determined fixations and instincts (particularly sexual).

HEALTH is to be able to find socially acceptable expressions for the instincts, to work and to love through the conscious efficient agent called the ego.

DISEASE is disturbed balance between forces unconscious determinants deranging the efficiency and adaptation of this functioning unit (man).

TREATMENT is psychoanalysis (for cases fit for it) in order to let relive early pathological relations which makes the causative determinants available to interpretation and correction, thus liberating sufficient adaptive energy through rearranging the psychic compartments.

2- Object Relations theory (Melanie Klein Winfrid Fairbairn, Harry Guntrip... etc)

MAN is the outcome of his introjects, splits and fixations at sequential object relations modes during infancy.

HEALTH is optimum object relations where objects are predominantly 'good' objects: significant and satisfactory, thus promoting production and adaptation.

DISEASE is disturbed psychic apparatus as a result of introjecting, and perpetuating, distorted objects and objects and relations.

THERAPY is to correct these distortions through psychoanalysis permitting reliving (reparative) object relations, thus reorganizing personality structure with consequent constructive relations.

3- Eric Erickson

MAN is a social being having the liability to grow and re-grow throughout his life. He is not only determined through happenings in his childhood but is also, at least partly responsible for himself.

HEALTH is consequent upon the successful resolution of growth crises to emerge from them in the positive direction, thus promoting successive building of a gratifying self concept positive continuous growth.

DISEASE is the predominance of too prominent a zone or a mode beyond its appropriate stage of development. It is also related to the negative outcome of growth crises. is the failure to resolve the growth crises, with sub sequent stagnation and a negative self-concept.

THERAPY is building up basic trust and confidence that the individual failed to acquire in infancy and childhood. This is established through reliving, correcting information, remodeling society, thus liberating growth in the proper direction.

4- Harry Stack Sullivan (Interpersonal psychiatry)

MAN is a social being, developing through and living in a real world of inter-personal relations

HEALTH is a successful interpersonal life including acceptance of one's self, that of others, and mutual enrichment and cooperation.

DISEASE is the result of hindering such constructive interpersonal relating through processes of "dynamism of difficulty" which are the process of living parts of one's personality that are wrongly applied to defect one's self i.e. misuse of personality function. Disease is exaggerated un-timed normal difficulties.

THERAPY is a mutual participation repairing the defective interpersonal relations and eliminating the 'dynamism of difficulty' turning them to proper personality functioning .

THE SECOND GROUP

The Second Group (Organizational systems theories):

Most of these theories share, more or less, some common basic assumptions about multiple hierarchical organizations, continuous growth, teleological direction, consciousness, will and responsibility.

5- Transactional analysis (Eric Berne)

MAN is composed of multiple cooperating, alternating systems of 'ego states' which correspond to biological brain organization

HEALTH is appropriateness and cooperation between ego states in relation to the relevant situation and individual needs.

DISEASE is hyperdominance, exclusion, contamination confusion and or inflexibility of certain ego states.

THERAPY is re-establishment of a proper relation between these functioning patterns, then liberation in proper interaction towards more and more synthesis rather than simple temporal alteration.

6- Sandor Rado (Adaptational Psychodynamics)

MAN is a biological system operating under integrating hedonic control (Hedonia here means organizing harmony). He seems to represent a biologic hierarchy repeating the evolution of his species

HEALTH is achieved by appreciating one's self as a "proven provider of pleasure (hedonic)".

DISEASE is maintenance of, or revival of the helpless, dependent child pattern of resulting in neurotic over-reactive behavior. It is also due to deficiency (probably innate) in the integrative pleasure ability.

THERAPY is emotional reduction to achieve self reliance, integrating reorganization through pleasure tolerance and utilization. The technique is analytic but interceptive (interrupting) interpretations are advised to stop regression

7- Henry Ey (Organo-dynamism)

MAN is, the conscious system well controlling and organizing other compartments of the personality i.e. levels of the brain.

HEALTH is this successful control to the extent of (so much so to) allowing harmonious adaptation and production

DISEASE is the failure of this control and dissolution of consciousness permitting the substructure to erupt directly or indirectly exhibiting maladaptive behavior.

THERAPY is restoration of this control once again by any available therapeutic means.

8- Silvano Arieti (cognitive-volitional therapy)

MAN is primarily a cognitive- volitional organization.

HEALTH is the appropriate functioning of the mature cognitive- volitional organization with secondary processes dominating the primitive cognitive organization as well as other functions in creation (a higher level of health). Both processes primary & secondary act synergistically and self-expansion, rather than self-actualization is the result of properly growing creative life.

DISEASE is failure of such control resulting in disharmony and presentation of disguised primitive activity.

THERAPY is reparation & reeducation ,reorganization] of the mature cognitive function to control and dominate once again. This is established, for instance, through cognitive repair including acceptance, translation and cohering.

9- General systems theory: Loving Von Bethany

Man is a multi-system organization to sub- and surpasses where all constitute the universe organized in a hierarchical accumulation of matter-energy-information organizations.

Health is The adequacy & harmony within the human systems as well as with other systems.

DISEASE is a deficiency, or faulty organization in any of the critical systems of energy-matter or information processing.

THERAPY is any means that corrects the deficiency thus restoring the harmony.

10- Evolutionary Rhythmic Theory (yehia RAKHAWY)

MAN is a biologically rhythmic structure, processing information in phasic oscillations on the way to endless dialectic growth.

HEALTH is the adequacy of both rhythmicity and processing to achieve an optimum degree of harmony appropriate to each phase of the biorhythmic cycles to promote ever- lasting dialectic growth.

DISEASE is the mishap or complications of this evolutionary rhythm in the form of abortion,

mutilation, disruption, concealing or undue prolongation of a certain phase (or phases) of the biologic rhythm.

HEALTH is the appropriate functioning of the mature cognitive- volitional organization with secondary processes dominating the primitive cognitive organization as well as other functions in creation (a higher level of health). Both processes primary & secondary act synergistically and self-expansion, rather than self-actualization is the result of properly growing creative life.

DISEASE is failure of such control resulting in disharmony and presentation of disguised primitive activity.

THERAPY is reparation & reeducation ,reorganization] of the mature cognitive function to control and dominate once again. This is established, for instance, through cognitive repair including acceptance, translation and cohering.

9- General systems theory: Loving Von Bethany

Man is a multi-system organization to sub- and surpasses where all constitute the universe organized in a hierarchical accumulation of matter-energy-information organizations.

Health is The adequacy & harmony within the human systems as well as with other systems.

DISEASE is a deficiency, or faulty organization in any of the critical systems of energy-matter or information processing.

THERAPY is any means that corrects the deficiency thus restoring the harmony.

10- Evolutionary Rhythmic Theory (yehia RAKHAWY)

MAN is a biologically rhythmic structure, processing information in phasic oscillations on the way to endless dialectic growth.

HEALTH is the adequacy of both rhythmicity and processing to achieve an optimum degree of harmony appropriate to each phase of the biorhythmic cycles to promote ever- lasting dialectic growth.

DISEASE is the mishap or complications of this evolutionary rhythm in the form of abortion, mutilation, disruption, concealing or undue prolongation of a certain phase (or phases) of the biologic rhythm.

THERAPY is regulating reorganizing and re-channeling the evolutionary rhythms, by all means. Recharging by appropriate and adequate information appropriate to each stage, facilitating unfolding and enhancing ultimately dialectic growth.

THE THIRD GROUP

The Third Group: The learning oriented theories

Although Adlerian theory is included here I am not very happy about this but I have no alternative for the time being. This group stresses learning in its broadest sense as the basic factor for human identity and march all through his life.

11- Adler (Individual Psychology)

MAN is an organic purposeful system aiming at self- realization and social survival. He is a unity.

HEALTH is achieving these goals of self-identity, including sense of unity and continuity and also self-esteem and acceptance. This is completed and approved by proper social adaptation.

DISEASE is failure to achieve such goals, i.e. lack of self- unity, surrendering to inferiority and lack of social feelings. The etiological roots should be traced to childhood.

THERAPY for a child is guidance to repair and avoid further development of handicapping habits. In the adult, it is directed to mobilization of creative resources to compensate for failure and to achieve the previously unattained goals. It is both social therapeutic support and education in a proper milieu.

12- Personality Learning Theory

MAN is a measurable structural personality phenomenon which adequately functions through adequate multi-dimensional learning procedures.

HEALTH is symptomatic optimum functioning mode of behavior that lies within the normal norms.

DISEASE is a symptomatizing mode of behavior that surpasses normal norms in multi-dimensional aspects interacting together.

THERAPY is a multi-dimensional learning taking

into consideration adjustment pathanalysis.

THE FOURTH GROUP

The Fourth Group (Self actualization theories):

I believe that the term humanistic psychology is a misnomer since most theories are essentially humanistic. I prefer the term self actualization theories to include those theories stressing actualization of human potentialities "to be ".

13- Karen Horney

MAN is an organism having evolutionary potential striving for self realization by nature (delivering or unfolding the central integrating force called real self) and to be able to transcend the dichotomies of opposing contradictory forces.

HEALTH is the attainment of self realization through actualization of potentialities in a process of constructive evolution.

DISEASE is failure of this fulfillment due to basic familial hostility and coldness producing basic anxiety. This anxiety, its modifications and evolution is responsible for disease.

THERAPY is directed towards discovering one's potentiality, on's real self in the actual situation . The technique consists developing a real relationship between two persons through which goals are achieved in the now-on, working through any difficulty .

14- Otto Rank

MAN is an organism striving for rebirth and growth. He is in a continuous in-and-out rebirth experience where crescendo relationships are the psychological uterus. **HEALTH** is promotion of this journey in the proper direction to achieve the ultimate goal of growth.

DISEASE is itself also rebirth experience where the patient makes drastic leaps forwards rather than a slow process of gaining insight.

15- Abraham Maslow

MAN is a potentially growing organism meant to fulfill his good natural potentialities.

HEALTH is reinforcing being (b) needs after satisfying deficiency (d) needs in a natural hierarchy achieving self actualization as exhibited in samples of peak experiences

DISEASE is dominance of deficiency needs and stunted alienated growth of personality

THERAPY is to help growth to continue in the natural hierarchy surpassing the lower levels and not arrested at them.

16- Existential Analysis (Dasein Analysis e.g. Ludwig Binswanger Rollo May)

MAN is a unique existing, conscious organism, aware of himself, thus aware of in space and time. His structure and identity are the result of his existential awareness and free choice.

HEALTH is to live as an aware Gestalt operating in a dialectic tension reinforcing freedom of self and others and adjusting relations to one's self in the world.

DISEASE is to lose this awareness in hypnotic alienation due to reductionistic determinism. Overdose of such awareness replacing actual productivity and relatedness may represent another aspect of illness.

THERAPY is established through an "I and thou" communication to reinforce one's awareness of himself towards and in relation to the common world. By so doing alienation is overcome and treatment proceeds .

17- Gardner Murphy (Biosocial theory)

MAN is a structural organism-environment field that is part of a still larger field. This larger field is explored through paramental phenomena (telepathy clairvoyance....etc.)

HEALTH is the harmony between man his immediate environment as well as his remote environment.

THERAPY is the re-establishment of organization and harmony within the person and with the environment, through psychotherapy and any other mean.

THE FIFTH GROUP

DISEASE is the manifestation of increase in this chemical substance or decrease in that producing symptoms.

TREATMENT is the correction of this deficit or neutralizing or eliminating the excess

21- Structuralism (The recent trend e.g. Jacque Lacan, Straus..)

MAN is his structural configuration. The conscious self (ego) is but a trivial outside façade. He is neither evolving nor goal seeking and his free choice is rather limited within structural configuration.

HEALTH is an efficient by-product of a well organized structure.

DISEASE is a significant structure in itself declaring an independent organization . It is also disruption or obstruction of an established structure

THERAPY is uncovering of the existing structure, analysing the symbolic context and allowing transformational genesis of a well organized structure.

THE SEVENTH GROUP

The miscellaneous group

There remains two trends that are worth introduction i.e. Gestalt and the anti- psychiatry and I have failed to include them under any of the above mentioned groups.I have put them together under the heading miscellaneous group though they share some qualities with some others theories not to a convincing degree to be included there, (at least for me).

22- Gestalt theory (Kurt Kafka Max Wertheimer, Kohler

MAN is a Gestalt i.e. he cannot be adequately described as a sum of smaller independent events or parts.

HEALTH is a Gestalten reflecting a balanced distribution of the forces underlying this organization??

THERAPY having the name Gestalt therapy is said to be poorly attached to the theory. It has its own technique. It aims at organizing self regulation through re-education to form a Gestalten delineated figure from ground and facilitate ready shift in the way to reinforce and liberate choice.

23- Anti-psychiatry movement (Ronald Laing, Cooper, Thomas Szaz)

MAN is the victim of his insane society.

HEALTH is to live in a sane society.

DISEASE is what the society does to the individual to make him diseased or to believe he is so.

THERAPY should be directed to the society to make it less psycho zing.

وبعد

أرجو أن يكون واضحاً أن هذه التقسيمات ، وبعض التمسات، هي مجرد اجتهاداتي أنا،

كما أنني أقر أن هذا الاختصار بهذا الشكل هو محل بلا أدنى شك، فليس من المعقول أن تقع نظرية في مئات الصفحات ثم أختزلها في بضعة سطور.

لكن من الواضح أنني لم أختزل أية نظرية مما طرحته حلالاً، كل ما أردت توضيحه هو التأكيد على أن أى نظرية في الإنسان في مجال علم النفس أو الأمراض النفسية، لا بد وأنها تقدم مفهوماً لهذه الأبعاد الأربعة التي تدرجها لمن يتصدى لعلاج المرضى، وأن إنكار ذلك يرجعنا للاحتمالات الأولى:

إنه من يمارس الطب النفسي بوعى مضرب، وهو لا يتعرض أصلاً لهذه المفاهيم، ولا يبحث عنها داخله قبل خارجه، إنما يحكم على مريضه وعلى نفسه، ويوجههما إلى وجهة ما، قد لا يعرفها، وقد تسمى إليهما، وأن موقفه هذا ليس بالضرورة حيادياً كما يتصور.

لن أعد هذه المرة بشيء محدد،

لكنني سوف أعود

وهل أملك غير ذلك!

206- مدارس ونظريات وافتراضات أساسية

اعتذار مكرر: وعدت أمس أن أقدم ما قدمت - متعجلاً أسفاً - بالإنجليزية أن أقدمه بالعربية، وهذا هو ليس ترجمة مباشرة، أو صورة طبق الأصل، فهو في شكل جداول لعلها تسهل المهمة (أوتصعبها)، وقد تم تعديل وتصويب بعض التفاصيل والتقسيمات، وأكرر اعتذاري.

(من المتوقع أنني لن أضيف كلمة واحدة بالإنجليزية للتوضيح، وعلى من يريد مثل ذلك أن ينظر في نشرة أمس).

مدارس ومدارس

مدارس ونظريات وافتراضات أساسية

مقدمة

ليس المطلوب من قارئ هذه النشرة أن يستوعب كل ما تورطنا في نشره هكذا وفاء لوعده أمس، تبريراً لفتح ملفات فحص "ماهية الإنسان" اصلاً (الغرائز) ومصيراً (الإبداع المفتوح النهاية)

لكن المقصود (أو المأمول) هو أن تصله رسالة عن مدى تنوع الرؤى (ويا حبذا لو امتدت هذه الرسالة إلى اختلاف الأديان)، وأن يجعله هذا يتحمل الاختلاف، وقد يعود إلى ماشاء مما ورد في هذه العجالة بين الحين والحين.

لماذا كل هذه النظريات عن النفس وفي النفس، ولماذا كل تلك المدارس؟

إن كل ذلك إن لم يكن الهدف منه - بالنسبة للطبيب النفسي، والأهم بالنسبة للمريض النفسي - هو العلاج، فلا داعي له في هذا المجال، ولتقتصر المسألة على منظور فلسفي، أو مجادلة نظرية.

لا يوجد إنسان ليس لديه مفهوم خطأ أم صواب عن ماهيته ووجوده ومعناه وغايته، كل ما في الأمر أن هناك من يُعنى بذلك واعياً، وهناك من يعيش كل ذلك دون حاجة لفحصه أصلاً، وهناك من ينكره علانية لكنه لا يمكنه التخلص منه إلا إذا تخلص من حياته كلها.

متجانسة بالضرورة، إلا أنها تؤكد علي التفرد من ناحية، وعلى وضع الإنسان كغاية في ذاته من ناحية أخرى، غاية تتحقق بما تعد طبيعتها الجيدة (الإنسانيون) أو بما تمارس من حرية مفتوحة (الوجوديون)

المجموعة الخامسة

امتداد الذات وعبرها

وتشمل هذه المجموعة خليطا من التنوعات النمائية، والتطورية، والدينية، والإيمانية، والصوفية، واليوتوبية، وهي تؤكد علي أن الإنسان الفرد (وأحيانا النوع) هو مجرد حلقة متوسطة لها ما بعدها، وأنه بتكوينه المتطور قادر علي الامتداد إلي ما بعده دون التوقف عند ما هو، أو ما يتصور أنه هو (أي عند مرحلة تحقيق الذات مثل سابقتها)

المجموعة السادسة

المنظور الكيميائي والبنوي الساكن

وتسمى هذه المجموعة باسماء مختلفة، ليست دقيقة ولا تمثل حقيقتها في كثير من الأحيان، مثل: النموذج الطبي، أو النموذج الحيوي، وأحيانا النموذج البيولوجي فحسب.

وهي يمكن أن تشمل علي الجانب الآخر (من حيث فكرة التركيب المبرمج الجاهز أو المتشكل في المحل) بعض غلاة السلوكيين، والبنويين التقليديين

المجموعة السابعة

المنظور الإنكاري الاجتماعي (السياسي)

هذا المنظور ينكر المرض النفسي أصلا ويعتبره نتيجة لقهر المجتمع المريض، وبالتالي فالمجتمع مسئول والمرض النفسي مجرد ثورة احتجاج علي مجتمع مريض

تعقيبات ومهاذير

مع هذه المحاولة الباكورة المتواضعة الشديدة الإيجاز، ينبغي أن نتذكر مرة أخرى، ما يلي:

(1) أن التقسيم تقريبي تماما

(2) أن ثمة تداخل يزيد أو ينقص بين مجموعة وأخرى

(3) أن ثمة مدارس ونظريات أخرى يمكن أن تضاف (خاصة وأنني جمعت هذه المدارس سنة 1980، قبل أن تظهر موجات العلم المعرفي الحديثة، وتشكيلات العلاج المعرفي المتتالية، وهو ما سأرجع إليه في هذه النشرة غالبا)

(4) أنه لم تذكر أية تفاصيل أو حتى إشارة عن ما تضمنه كل مجموعة من مؤسسين أو ما ترتبط به من تاريخ

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(1) التحليل النفسي التقليدي (ال فرويدي)

ماهية الإنسان	الإنسان نتاج تاريخه محكوم بالاشعوره ' قد يعاق بتثبيات طفولته مدفوع بغرائزه لا سيما الجنس (بالعنى الأشمل) أن يتجاوز (أى يفك وقفته) تثبياته, إذ يتمكن أن يضبط غرائزه ليحقق: "أن يعمل وأن يحب" (ويتكيف)
مفهوم الصحة	أن تحدد تثبياته, فتغلب عليه حتى ينكس أو يعاق بمكانزماته ويختل التوازن بين تركيباته, فتكبله أعراضه
مفهوم المرض	أن يعيد معاشة تثبياته من خلال التداعي والطرح فيتمكن من إزالة الإعاقة فإطلاق الطاقة لإعادة التوازن "فيعمل, ويجب"
العلاج	

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(2) مدرسة العلاقة بالموضوع (الآخر)

ماهية الإنسان	الإنسان جماع مستدخلاته وانشاقاته الأولى التي نشأت حسب نوع علاقته بأمه, وتوالى التثبيات في مواقع النمو المتتالية
مفهوم الصحة	أن يحقق علاقة ناجحة بالآخر الموضوعى باعتباره "حسنا بدرجة كافية" متعاوناً للتكيف والأداء
مفهوم المرض	خلل الجهاز النفسي المحتوى لموضوعات سيئة والمار بتثبيات معطلة لعمل علاقة مفيدة بالآخر
العلاج	هو تصحيح هذه التثبيات من خلال إرساء علاقة تصحيحية تحسن الداخلة, وتسمح بالتعامل الموضوعى مع الآخر

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(3) إريك إيكسون

ماهية الإنسان	الإنسان كائن اجتماعى له قدرة أن ينمو في حلقات (دورات) طول حياته. وهو ليس مصنوعاً وإنما يشارك في صنع نفسه
مفهوم الصحة	هى النجاح في عبور أزمات النمو المتلاحقة في اتجاه الإيجابية وبما يصلح أخطاء المراحل السابقة إن وجدت
مفهوم المرض	هو تضخم أو استمرار مرحلة أكثر من دورها وكذا الخروج من أزمة النمو في الاتجاه السلي
العلاج	هو بناء الثقة الأساسية وإصلاح ما سبق تضخمه بإعادة الإعاقة مع تصحيح المعلومات وإعادة تشكيل الناتج وإطلاق مسيرة النمو

المجموعة الأولى: التحليل النفسي (وما يرتبط به)
(4) هارى ستاك سوليفان

ماهية الإنسان	الإنسان كائن اجتماعي ينمو ويعيش في عالم حقيقي الآن، عالم مصنوع من العلاقات البيئشخصية
مفهوم الصحة	حالة من نجاح العلاقات التي تشمل قبول الذات، والآخر وإثراء بعضنا البعض، والتعاون فيما بيننا
مفهوم المرض	هو ناتج إعاقة إرساء هذه العلاقات من خلال: 'ديناميات الصعوبات' التي هي مبالغت للعادة والناشئة من استعمال ذاتنا جزئيا
العلاج	مشاركة متبادلة لتصحيح مسار العلاقات البيئشخصية وإزالة 'ديناميات الصعوبات' وسلامة توظيف الشخصية

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة
(5) إريك بيرن

ماهية الإنسان	الإنسان هو مجموعة منظومات نفسية لها ما يقابلها بيولوجيا، وهي منظومات متعاونة، تحت قيادة واحدة فقط، في لحظة بذاتها
مفهوم الصحة	هو تناسب حالة الذات القائدة مع الموقف الحالي، مع القدرة على التبادل مع الذات الأخرى متى لزم الأمر
مفهوم المرض	هو طغيان وجهود إحدى الذات، والخلط بينها واحتمالات التلوث وفقد المرونة والعجز عن التبادل.
العلاج	هو استرجاع مبادئ التناسب الموقفي والتبادل النشط بين الذات حسب متطلبات التكيف والفاعلية

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة
(6) ساندور رادو

ماهية الإنسان	الإنسان جهاز بيولوجي يعمل بتنظيم اتساقى (هيدوني) بتركيب هيراركي يعيد مسيرة تطور النوع.
مفهوم الصحة	أن يتقبل الإنسان نفسه كمصدر للتناسق الهيدوني القادر
مفهوم المرض	هو استمرارية نمط الطفولة المعتمد العاجز وهو نقص (ربما وراثي) في القدرة على تكامل القدرات التناسقية
العلاج	الإقلال من الانفعالية، وتدعيم الاعتمادية الذاتية من خلال إعادة تنظيم وتكامل التناسقية. من خلال التحليل التدخلي بدلا من التداعي الحر.

المجموعة الثانية: المنظومات (التركيبية) المتعددة

(10) لنظرية التطورية الإيقاعية (الرخاوي)

ماهية الإنسان	الإنسان كيان بيولوجي دائم النبض الحيوي بتركيباته الهراركية بما يسمح بفعلة المعلومات الداخلية والمُدخلة باستمرار النبض، ومن ثم النمو بلا نهاية
مفهوم الصحة	كفاءة النبض الحيوي مع نجاح فعلة المعلومات باضطراد لتحقيق التوازن المرهلي واستمرار النمو الولاقي
مفهوم المرض	هو مضاعفات النبض الحيوي إما بالنبض الجسيم أو بناجه النشاط الذى إذا تهادى واستقر تليفت الشخصية بما يمنع كفاءة النبض واستمرار النمو
العلاج	تصحيح مسار النبض الحيوي بإطلاق النبض المنتظم فى النمو والأحلام والإبداع مع تدريب المستويات التى ضعفت والتحكم فى المستوى البدائى الجامح لاستيعابه تدريجيا

المجموعة الثالثة : المنظور العلمى (التربوى)

(11) ألفرد أدلر

ماهية الإنسان	الإنسان نظام عضوى هادف يريد أن يحقق ذاته، وبقاءه الاجتماعى فى واحدية متكاملة
مفهوم الصحة	تحقيق هذه الأهداف بما يشمل استمرارية الذات واعتبارها والتقبل من الآخرين. ويتم كل هذا بالإقرار من المجتمع
مفهوم المرض	العجز عن تحقيق ذلك بما يترتب عليه من شعور بالدونية، والانعزال عن المجتمع. ويرجع ذلك إلى جذور فى الطفولة
العلاج	موجه أساسا إلى التأهيل والإصلاح بالتعليم الآن للناضج وليس الغوص فى الماضى، مع دعم اجتماعى علاجى مناسب

المجموعة الثالثة : المنظور العلمى (التربوى)

(12) نظرية التعلم للشخصية

ماهية الإنسان	الإنسان كيان يمكن أن تقاس وظائفه التى تتوقف كفاءتها على طرق التدريب المناسب فى المراحل المختلفة
مفهوم الصحة	تحقيق المعيار المناسب من كفاءة الوظائف اللازمة للذء العادى، مع اختفاء الأعراض
مفهوم المرض	سلوك عاجز تصدر عنه الأعراض المرضية نتيجة افتقاره إلى المعيار المناسب للكفاءة اللازمة
العلاج	هو إعادة التعليم من منظور متعدد التوجه متكامل الأداء لاستعادة

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(13) كارين هورني

ماهية الإنسان	للإنسان دفع كامن يسعى إلى تحقيق الذات من خلال بسط القوة التكاملية المركزية المسماة: الذات الحقيقية وبالتالي يتجاوز التقابلات المتناقضة
مفهوم الصحة	هي النجاح في التطور الفردي، ومن ثم تحقيق الذات بإمكاناتها البناء الحقيقية
مفهوم المرض	هو الخيلولة دون تحقيق الذات نتيجة للعدوانية العائلية الأولى والبرود الوجداني المحيط بما يترتب عليه القلق الأساسي، ومضاعفاته ومكافآته
العلاج	يتوجه لاكتشاف هذه الإمكانيات الكامنة وأسباب إعاقتها، ويشمل العمل على إرساء علاقة مع في هنا والآن فصاعداً للتغلب على الصعوبات معاً

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(14) أوتورانك

ماهية الإنسان	الإنسان هو خيرة متصلة من رحلات الدخول والخروج لإعادة الولادة، حيث تمثل العلاقات المتصاعدة الرحم النفسي
مفهوم الصحة	هي استمرار هذه الرحلة في الاتجاه الصحيح حتى الحصول على الهدف منها وهو استمرار النمو
مفهوم المرض	هو في حد ذاته خيرة متميزة تشمل إعادة الولادة، لكنها تتم بقفزة شاطحة للأمام بدلا من التدرج المناسب لاكتساب البصيرة
العلاج	هو إعطاء فرصة من خلال المواجهة والميعة لسلاسة الترحال بين الداخل والخارج بما يضمن عدم الشطح مع استمرار التقدم

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(15) أبراهام ماسلو

ماهية الإنسان	الإنسان كيان نام في اتجاه تحقيق إمكاناته الطبيعية التي تغلب عليها الإيجابية
مفهوم الصحة	هي تدعيم حاجات الكينونة بعد إشباع الحاجات الطبيعية بتزتيب هيراركي يضمن في النهاية تحقيق الذات
مفهوم المرض	غلبة الحاجات الطبيعية (الأولية) على حاجات الكينونة، ومن ثم توقف مسار النمو
العلاج	هو دعم استمرار النمو بشكل مرتب بطريقة هيراركية بهدف مساعدة المريض على تجاوز حاجاته الطبيعية (الأولية)

المجموعة الرابعة: (الوجوديون والإنسانيون وتحقيق الذات)
(19) كيرت جولدشتاين

ماهية الإنسان	الإنسان كيان كلي وليس أبدا مجموع أجزائه وهو يعيش في بيئة كلية
مفهوم الصحة	هو تحقيق هذه الكلية ومن ثم تحقيق الذات وإطلاق القدرات والتنقل من مجرد إلى العيان وبالعكس
مفهوم المرض	هو التوقف عن إطلاق القدرات والاكتفاء بموقف التخلص من التوتر على حساب التقدم ومن ثم التوقف في الخلل
العلاج	يتحقق العلاج من خلال مجتمع مشترك تتحقق فيه ذات كل من المريض والمعالج معا

المجموعة الخامسة (امتداد الذات)

هنا بالذات يمكن أن تدرج كثير من النظريات السابقة خصوصا: المجموعة الثانية والرابعة

(20) كارل يونج

ماهية الإنسان	الإنسان هو كيان يجتوى الأضداد، وتمتد جذوره إلى اللاشعور الجمعي، وتمثل الأضداد في نماذج متقابلة
مفهوم الصحة	الصحة هي القدرة على قبول هذا التناقض وتحمل مسيرة الجدل المؤلف بينها لتحقيق التفرد
مفهوم المرض	هو تباعد الأضداد لدرجة النشاز والبعد عن الواقع والعجز عن التفرد
العلاج	هو استعادة التوازن والمساعدة على استمرار المسيرة لإعادة ولادة الذات الموضوعية من خلال العلاج النفسي وخاصة في منتصف العمر

المجموعة الخامسة (امتداد الذات وعبرها)

وهنا أيضا يمكن أن تدرج كثير نظريات المجموعة الثانية والرابعة، بل يمكن هي نفسها أن تدخل في أي منهما

(21) أنتوني سوتيش (عبر الشخصية)

ماهية الإنسان	الإنسان مرحلة متوسطة بين ما لا يعرف من امتداد لاحق وبين ما كانه، وهو يتجاوز ذاته الفردية خلال نموه
مفهوم الصحة	هو حسن توقيت النمو حسب كل مرحلة لتأخذ حقيقتها دون إسراع أو تجاوز
مفهوم المرض	هو التوقف عن مرحلة دونية، وأيضا تجاوز مرحلة سابقة بالقفز فوقها فيتحقق نمو كاذب
العلاج	هو دعم مسار النمو حتى تتحقق كل مرحلة في وقتها إلى ما يليها دون تسرع أو توقف

المجموعة السادسة (المنظور التشريطي الكيمياءى والبنىوى الساكن)

(22) بافلوف - واتسون

الإنسان مجموعة مركبة من المنعكسات الشرطية	ماهية الإنسان
الصحة هى كفاءة المنعكسات الصالحة للتكيف والأداء المناسب	مفهوم الصحة
هو تعلم منكسات صارة أو معيقة, وأيضا الافتقار إلى تعلم منعكسات شرطية نافعة	مفهوم المرض
إعادة تعلم باستبعاد المنعكسات المعيقة وإعادة التدريب على منعكسات نافعة تكيفية	العلاج

المجموعة السادسة (المنظور الكيمياءى و البنوى الساكن)

(23) النموذج الكيمياءى البيولوجى المختزل

الإنسان تركيب كيمياءى معقد, يسمح بأداء وظائف تميزه وتضعه فى حدود المعايير الدالة على السواء	ماهية الإنسان
هو كفاءة هذا التركيب البيوكيمياءى باحتوائه النسب المعروفة من الموصلات والتركيب العادية للشخص العادى	مفهوم الصحة
هو اضطراب تزيد فيه, أو ينقص بعض مكونات التركيب البيوكيمياءى المعقد, أو تختل فيه التركيب التشريطية	مفهوم المرض
هو إصلاح هذا النقص, أو إنقاص تلك الزيادة, أو إزالة الخلل التشريطى الامراضى إن أمكن	العلاج

المجموعة السابعة المنظور الإنكارى (السياسى)

(24) ضد الطب النفسى

الإنسان ضحية للمجتمع المحيط به	ماهية الإنسان
أن يكون المجتمع صحيحا وحاميا لأفراده حتى يصحوا	مفهوم الصحة
سحق للفرد لحساب مجتمع مريض	مفهوم المرض
حسن فهم احتجاج المريض والعمل على رفع القهر وعلاج (إصلاح) المجتمع	العلاج

تعقيب عام

(1) إن مزيدا من المدارس يمكن أن تزداد فى كل مجموعة أو فى مجموعات منفصلة

الثلاثاء 25-03-2008

207- عن الإبداع التواصلي والإبداع الخالقي

مقدمة :

قلت أمس إن الاعتراضات والتحفظات التي وصلتني شملت تساؤلات عن علاقة الجنس بالعدوان من ناحية، وعلاقتهما، أو علاقة كل منهما، بما أسمته الإبداع التواصلي والإبداع الخالقي، فوجب التوضيح بأى قدر ممكن.

قبل ذلك نتذكر الاستطرد الذي استغرق يومية أمس ليرد على التساؤل القائل: لماذا يتناول هذا الموضوع (أو مثل هذه الموضوعات) طبيب نفسي، وهو يوجه الحديث إلى زملائه النفسيين قبل وبعد من يهمه الأمر؟،

هذا الاستطرد - أمس- جزنا إلى عرض فكرة أن البحث في موقف الطبيب الأعمق من قضايا الحياة الأولية (أو حتى موقف أي شخص) هو أمر جوهري أو على الأقل هو مفيد حتى تكون الممارسة على بينة، ولا ينتهي دور الطبيب إلى ما أسماه صديق لي (د. رفيق حاتم) في فرنسا: **موظف بدرجة مدير عموم آلة الطب المبرمج.**

قبل ذلك أيضا أشرت إلى تسمية ما أفعله مع المريض النفسي طوال نصف قرن، حتى قبل كل هذا التنظير، وأنني اكتشفت أنني أقوم بقراءته، باعتباره نصا بشريا، (وليس تصنيفه تشخيصا) وفي نفس الوقت هو يقرؤني فيسمح لي بإعادة قراءة نفسي، ثم أقوم، وهو معي، بنقد هذا النص (هو أساسا) ونعيد تشكيله معاً، (ومع آخرين في العلاج الجمعي وعلاج الوسط العلاجي خاصة)، والمفروض أن يعاد تشكيل النص البشري للمعالج نفسه، ما دام النمو مستمرا، والإشراف، على أى مستوى متواصل.

من هذا المنطلق يصبح النظر في الطبيعة البشرية بدءا من الغرائز إلى ما تعد به (من غيب لا نعرفه) هو من أساسيات ممارسة هذا التخصص (وربما الحياة لمن أراد المواكبة).

كل هذا فسر لي - بأثر رجعي - اهتمامي بقضية الإبداع من البداية، منذ كتبت عن **مستويات الصحة النفسية على طريق التطور الفردي 20-1-2008**، وكيف يمكن أن يحقق الفرد منا

توازنه بالإبداع على مستوى متطور فائق، كما يتحقق التوازن للغالبية العظمى منا، بالعمى الجيد الرحيم (استعمال الميكانيزمات العقلية) وفيما بين هذا وذاك، تأتي مرحلة تحقيق نوع أوسط من التوازن من خلال البصيرة الراضية المتألمة معاً (بعد تراجع العمى نسبياً= الإفلال من استعمال الميكانيزمات)، قبل أو دون الانتقال إلى تحقيق التوازن بالإبداع (وقد سبق أن نشرت ذلك في اليومية 20-1-2008، وهو موجود تفصيلاً في أماكن أخرى كثيرة من الموقع).

وفي مرحلة لاحقة تناولت الإبداع من منظور الإيقاع الحيوي، وربطت بينه وبين الجنون والأحلام، ثم تناولت الإبداع من منطلق جدليته مع الجنون على مستويات مختلفة، وأخيراً في علاقته بالخبرة (كل ذلك اجتمع في الإصدار الأخير الذي صدر لي من المجلس الأعلى للثقافة هذا العام)، ثم ما نحن الآن ندخل إليه من جديد من باب العدوان، أما حقيقة التطور التاريخي لفكري فهو أن هذا تناول لدور العدوان في الإبداع هو سابق لكل ما سبق إلا المرحلة الأولى (الصحة النفسية على طريق التطور الفردي حيرة طبيب نفسي).

عن الإبداع التواصلي والإبداع الخالقي

من هنا رأيت أن الإجابة على التساؤلات التي وصلتني وهي تطلب بوجه خاص **إيضاح الفرق بين الإبداع التواصلي والإبداع الخالقي** لا يمكن فصلها عن تطور فكري كله، خاصة وأني خلال هذه الرحلة الطويلة قد صنفت الإبداع تصنيفات أخرى، مثل **الإبداع الفائق** و **الإبداع البديل** و **الإبداع الناقص** (المجهض) .. إلخ

بمراجعة كل هذا وجدت لزماً على أن أنبه إلى أن ما أسميته **الإبداع الفائق** من منطلق جدلية الجنون والإبداع هو (تقريباً) **الإبداع الخالقي** من منطلق العدوان والجنس، وأن ما أسميته **الإبداع البديل** من المنطلق الأول هو المرادف **لليبداع التواصلي** من المنطلق الثاني.

الفكرة الأساسية في إيجاز شديد لا يغنى عن الرجوع للأصل هي كالتالي:

○ لا الإبداع ، ولا أي نشاط مهذب مستنير، هو بديل كاف يحل محل الغرائز تمدنا ورقياً

○ التطور الخليق بإنسانيتنا هو الذي يحتمى الأقدم **ويتوجه به** ، إلى الأحدث، فالأكثر وعداً مما لا نعرف (الغيب)

○ **الجنس** بعد أن ارتقى للقيام بتسهيل التواصل الأشمل والأعمق والأقدر على إعادة تشكيل المتواصلين، يمكن أن يثرى ويشارك في تخليق تشكيلات جديدة، في الذات، أو في ناتج خارجها، وهو ما يؤدي نفس الوظيفة الأحدث للجنس: أعني "التواصل إبداعاً" ومن هنا اخترت له هذا الاسم "الإبداع التواصلي"، وهو نوع لا يحتاج بالضرورة إلى إغارة وتحكيم واقتحام قبل إعادة التشكيل بطفرة مختلفة تماماً. هذا النوع من الإبداع هو - بدرجة ما - بديل عن ثورة الطفرة المفزعة برغم أنها إبداع أصعب ومن ثم فهو الأقرب إلى الإبداع التواصلي المحتوى لـ (وليس المتسامي عن) غريزة الجنس البدائية.

○ **العدوان** وقد احتوته مسيرة الإنسان تطورا أصبح يشارك في كخطوة ارتقائية في الإغارة على الجمود وتفكيكه، تمهيدا لجمع شمل ما تناثر منه في تشكيل طفرى مغامر، فالعدوان إذن مسئول إيجابيا عن هذه الخطوة الاقترامية المفككة لجمود السكون المانع لخركية التطور، كما أنه المسئول عن مثابرة السعى الإقدامى لإعادة التشكيل الطفرى.

يمكن الرجوع الى بعض ذلك تفصيلا في "حركة الحياة وتجليات الإبداع"

معالم متداخلة لتفرقة صعبة

قبل أن أعرض موجز ما يميز بين هذين النوعين من الإبداع في صورة جداول غير مفيدة (بل مربكة لكنها قد تغرى بالرجوع للأصل لمن شاء) دعوني أبسط الأمر بشكل يومى مباشر هكذا:

- إن **موسيقى النهر الخالد محمد عبد الوهاب** هي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع تواصلى**
- أما **السيمفونية الخامسة لبتهوفن** فهي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع خالقي**
- إن **رواية السراب لنجيب محفوظ** هي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع تواصلى**
- أما **ليالى ألف ليلة** ، أو معظم **أحلام فترة النقاها**، فهي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع خالقي**
- إن **أغلب شعر صلاح عبد الصبور** أو **حمود درويش** هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع تواصلى**
- أما **أغلب شعر أدونيس** أو **إبراهيم داود** (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع خالقي**
- إن **أغلب نظريات الرياضة الإقليدية** هي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع تواصلى**
- أما **الرياضة الكموية الحديثة** فهي (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع خالقي**
- إن **اكتشاف زويل لوحدة الزمن المتناهية الصغر** في **التفاعل الكيميائى** هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **الإبداع التواصلى**
- في حين أن **اختراق أينشتاين بنظريته النسبية** هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **الإبداع الخالقي**
- إن **ممارسة طقوس التصوف الشعى الطيب** هو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع إيماني تواصلى**
- أما **كدح النقرى وتحدياته** في **المواقف والمخاطبات** فهو (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) **إبداع إيماني خالقي**

وبعد

هل يحق لي الآن أن أقدم الجدول القديم دون تعديل ليبين الفروق بين هذين النوعين؟

ولعله من المناسب أن أرجوا من لا يتحمل قراءة الجداول دون شرحها أن يطرحها جانباً، ويواصل معنا ما يشاء، ربما مثلما دعوت من لا يحب الإنجليزية (مثلئى) أو لا يتقنها ألا يقرأ ما جاء بها أول أمس؟

أرجوا أن تسمحوا لي بفعل ذلك مع اعتذار كاذب.

جدول (1) مقارنة بين الإبداع الخالقي والإبداع التواصلى

(دون فصل حاسم)

<p>1 - تحطيم القديم في مغامرة فردية صعبة 2-إعادة خلق الجديد من جزئيات القديم المحطم بما يشمل المخاطرة بالوحدة والرفض 3-يتم هذا التحطيم وإعادة البناء عادة علي حساب الآخرين- في البداية وظاهر الأمر. 4-يلاقى المبدع من جراء إبداعه الخالقي هذا قدرا من الرفض والنيزد والقسوة والاضطهاد مما يجعله في معركة حقيقية. 5- يقاوم المبدع كل هذا بالوحدة والإصرار والاستمرار، مما يحتاج إلى كل زخم إيجابية عدوانه تجاه الآخر (الآخرين) وهى وحدة تصب في النهاية فيما رفضته (في الآخرين) 6-لا يقتصر هذا النوع على الإنتاج الفنى أو الأدبي، وإنما يشمل ، التغيير، الذاتى الإبداعى في النمو الفردي، والإنشاء العلمى والثورة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المبدعة المسنولة إلخ ..</p>	<p>الإبداع الخالقي (النابع x من العدوان أساسا)</p>
<p>1- لا يلزم تحطيم القديم، وقد يكتفى بتحسينه حتى القبول 2- العملية الأساسية تهدف إلى تناسق الجزئيات القادرة على التناغم مع نفس المستوى عند المتلقي. 3- تتم هذه العملية لحساب، وسعيا إلي، الآخر أساسا. 4- عادة ما يجد المبدع تقبلا واستحسانا من البداية</p>	<p>الإبداع التواصلى (النابع x من الجنس أساسا)</p>

تطور معرفي، وتغير نوعي، ليس مطردا بالضرورة. تكرار جيد، قد يكشف أبعادا أكثر للمستوى نفسه	هو الصورة المعلنة له، بعد اكتساب الإنسان الوعي، يدفعه ويتلقى منه، وقد يستغنى عنه، بحسب اطراد جرعة استيعاب النبض الحيوي للفرد (فالنوعي) وضبطها.	الأثر على الإبداع اللاحق
مؤشر لمساره أحيانا، ومعتل له (بوصفه بديلا كاملا) في الوقت نفسه، كما قد يتلقى منه	احتمال نادر، يقل باضطراد مع اضطراد الإبداع ونمو الذات.	العلاقة بالنمو الفردي
احتمال أقل ندرة، أما إذا توقف الإبداع، فهو وارد، هو أو ما يكافئه وهو فيه (بالإبداع المحبط = جهود الإبداع)	وارد أحيانا (بما يفسر اختلاف مستويات الإبداع عند مبدع متميز؛ محفوظ، مثلا)	تبادله مع حالة الجنون
نادر ندرة تامة (بما يفسر رفض أغلب المبدعين على هذا المستوى لأي إبداع فائق أو ناقص (العقاد مثلا)	التلقى الحاور، والإبداع الموازي.	تبادله مع أنواع الإبداع الأخرى
الجنون البديل (مثل: الأكتئاب الهوس - حالات البارانويا...)	المتناثر الخاصة (القصام، التفسخي)	دور النقد
الحلم الحكى وتفسيره الرمزي التحسين صفات النوع الحالى (على المستوى الحيوي نفسه دون طفرة أو تغير نوعي) وتأكيدها.	نبضات الحلم المتكاملة (تفكك - تعزيز - نمو...) طفرات التغير النوعي	المقابل التدهوري (المرضي)
		المقابل الحيوي: أ-المستوى اللينهارى ب- المستوى البيولوجى لتطور الحياة

المواجهة :

دعونا نعرف ابتداء بصعوبة - أو استحالة - وضع العملية الإبداعية ذاتها تحت مجهر البحث العلمى، إذ كل ما هو متاح لنا هو فحصه هو : إما نجاحها، وإما مبدعها. إن الوحدة الزمنية التي تستغرقها العملية الإبداعية خاصة في آخر مرحلة لانتيق الإبداع ، هي لحظة شديدة التكتيف شديدة القصر (لا نبالغ إذا قلنا إنها جزء من ثانية رغم فساد قياسها بهذا المقياس العادى (من حيث المبدأ)، وقد تكون هذه الحقيقة في ذاتها هي التي تسمح وتبرر بتنوع المداخل إلى العملية الإبداعية، مع اختلاف الرؤى ، الأمر الذي يؤدي إلى بعض ظاهر التباين.

ثم لابد من التدقيق في الأجدية المستعملة في تناول هذه القضية المكثفة المعقدة، فلا يجوز الخلط بين **نبض الإبداع**، الذي ينتمى إلى جذور العملية الإبداعية، وبين **نتائج الإبداع** علما أو أدبا أو تشكيلا، أو بينهما وبين سمات المبدع ومواهبه وقدراته.

كما لابد أيضا من التمييز بين تناول ماهية الإبداع باعتبارها أحد محاور الحياة لكل الناس (بل لكل الأحياء، بلا استثناء، في الحلم اساسا)، وبين تناولها في حدود إنتاج المبدع ناجما متاحا في أى مجال من مجالات المعرفة علما أو أدبا أو تشكيلا.

ثم أخيرا: لا مفر من تصنيف الإبداع المنتج (رمزا أو عيانا) في أشكال متعددة، متوازية أحيانا، متبادلة أحيانا، مكثفة أحيانا، ومتصاعدة (هيراكليا) كثيرا.

في محاولة توليف بين المراحل، وعودة إلى العدوان

في محاولة الإمام بأطراف القضية بدرجة تخفف قليلا أو كثيرا من التناقض المحتمل الظاهر بين مراحل تناول للقضية، أطرح آخر المحاولات للتأليف بين هذه المراحل على الوجه التالى:

استطعت أن أحدد أن دراسة الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع كانت تركز- كمنطلق- على **أحقية الشخص العادى أن يكون مبدعا بالضرورة البيولوجية**، سواء ظهر ذلك في صورة الإبداع اليومى (الحلم) أو الإبداع الحياتى (تطور الحياة وارتقاء النوع)، ثم ليكن الإبداع المنتج رمزا أو عيانا قابلا لتلقى آخر في شكل أحد صور الإبداع لا أكثر.

لكن دراسة **العدوان الباكرة** قد ركزت على دور **زخم العدوان الإيجابي** في تحطيم القديم واختراق الوعى والتقدم للآخر، ولا يظهر هذا أصرح ما يكون إلا في نوع خاص من الإبداع المنتج رمزا، وهو ما أسميته **الإبداع الخالقى**، وإن كان في نفس الوقت هو دفع جوهرى في سائر الأنواع.

ثم جاءت دراسى عن جدلية **الجنون والإبداع** لتربط ما بين مرحلة التنشيط التلقائى (دراسة الإيقاع) وكيفية المحافظة على ناتج هذا التنشيط **بمحاولة توظيف السماح بحركية التنشيط أن تبقى في الوعى أو قريبا منه**، ثم **التأليف من ذلك اقتحاما للوعى ثم إقداما نحو الآخر**.

أما الدراسة الأولى التى أشارت إلى حفز الإبداع من خلال فقد التوازن المرحلى بين مستويات الصحة فإنها تشير إلى **العمليات المساعدة** في عملية التنشيط البيولوجى التلقائى من جهة، وحركية الولاى الإبداعى من جهة أخرى، فيما يتعلق بهيراركية أزمت النمو خاصة.

وعلى ذلك: نعود فنؤكد أن ثمة فرقا ضروريا بين التنشيط البيولوجى العادى اللازم **حركية فعلة المعلومات** التى لم

تتمثل في الكيان الكلي تمثلا كافيا، وبين التفكير الإرادي -نسبيا- اللاحق والواكيب، وخاصة تفكيك التركيب الجامد الذي يمكن أن يحول بين هذا التنشيط وبين إعادة التوليف. وإذا كانت عملية التنشيط الأولى تنتمي إلى الإيقاعية البيولوجية، فإن عملية التحطيم والافتحام تنتمي إلى إيجابية العدوان بدرجة مناسبة من الإرادة الغائية والوعي الفاعل النشط.

وبتعبير آخر فإن الانتقال من مرحلة الإمكانية البيولوجية المتاحة (في فعلى التعتعة و البسط / إيقاعا)، لا تصبح ناتجا إبداعيا متميزا ومرصودا إلا إذا انتقلت إلى مرحلة الصياغة في جرعة مكثفة مختزقة وكاشفة، وإبرادة حاسمة ووعى مسنول، وهذه المرحلة الأخيرة - مرة ثانية- هي التي تحتاج قدرا هائلا من الطاقة الملتحمة بالوعي والإرادة (وخاصة فيما أسمته الإبداع الخالقي أو الفائق) طاقة تكون قادرة على الحفاظ على جرعة التنشيط إلى غاية الإبداع المنتج.

وهكذا نرى أن الدور الإيجابي لغريزة العدوان بما هي، وليس بالتسامي عنها، ناهيك عن إنكارها، إنما يسهم أساسا في المساعدة على استيعاب التناثر (البيولوجى التلقائي)، ومن ثم الخيلولة دون العودة الساكنة التي تمحو تلقائيا كل ما يتيح النبض الحيوى من حركية وتنشيط قادر على التمدادى للخلق والإبداع (عند كل الناس - من حيث المبدأ).

وعلى ذلك يكون إسهام العدوان الإيجابي (في الإبداع الخالقي بوجه خاص)، كما جاء في هذه الدراسة هو العمل على تكثيف جرعة التنشيط لاختراق طبقات الوعي الذاتى، وتأكيد الوحدة والتميز عن الآخر، وحمل التهديد بالفناء كأحد مخاطر عمق التغيير، ثم إنه يرتبط دوره أيضا بالحفز لاختراق وعى المتلقى (وليس الاكتفاء بدغدغته)، كما أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الطاقة الاقتحامية للحيلولة دون التناثر (كإبداع بديل مجهض أو سلبى، في بعض صور الجنون والانسحاب والتجمد)

وأخيرا فإن زخم تقدم العدوان الإيجابي يمكن أن يساعد على المثابرة لإكمال وصقل حركية الإبداع وتصعيدها إلى أن يتم الناتج الإبداعى، خاصة من النوع الفائق().

الخلاصة

ومن هذه المقدمة، فالمراجعة، نستطيع أن نخلص إلى ما يلى:

1- إن نظرية الغرائز بصورتها الجديدة من منطلق علم الإثنولوجيا قد عادت لتأخذ حلقها في فهم سلوك الإنسان وتطوره.

2- إن التسليم بنظرية للغرائز يرتبط ارتباطا مباشرا بالتأكيد على إمكان وراثية العادات المكتسبة الغائرة ذات الدلالة التطورية (التعلم بالبصم) وبذلك لا يصبح الأمر تسليما لغريزة وإنما انطلاقا منها.

- 3- إن غريزة العدوان أعمق وأكثر خطورة من غريزة الجنس، ومع ذلك فهي لم تأخذ حقها في الدراسة والبحث بالقدر المناسب.
- 4- إن الفرص المتاحة للتعبير عن العدوان في حياتنا المعاصرة نادرة وواهنة ، بحيث تجعل إهمال دراسة هذه الغريزة خطرا أكثر تهديدا .
- 5- إن الصور المخورة للتعبير عن هذه الغريزة وتراكماتها شديدة الخطورة لافتقار الإنسان إلى الجهاز المناسب الصالح للتحكم فيها مباشرة .
- 6- إن إنكارها-أو إهمالها- هو استسهال خطر لا يتفق مع مسئوليات العلماء المعاصرين مهما كان التبرير مقنعا تحت وهم أى أمل أخلاقي أو حلم مثالي.
- 7- إن محاولة ترويض غريزة العدوان بالتعليم الشرطي، أو إبدالها بالإعلاء والتعويض السطحي بالنجاح والسيطرة هي وسائل مرحلية، إن نجحت فينبغي أن نؤكد على طبيعتها المرحلية وإلا أعاققت النمو في النهاية .
- 8- إن التغافل عن حسابات غريزة العدوان وتأثيرها قد يكون مسئولاً عن الخروب والتمييز الطبقي المعلن والخفي بين الأجناس والطبقات الاقتصادية والاجتماعية والأديان، الأمر الذي زادت مضاعفاته وتضخمت مخاطره وخاصة بعد تملك أدوات الدمار بلا حدود، مما يهدد السلام البشرى بل وبقاء النوع الإنساني أصلا .
- 9- إن الحل المسئول يتطلب إعادة فهمنا لمراحل تطور الغرائز، فيما بعد الإبدال والتسامي نتيجة لتآلفها مع وظائف أخرى ومع بعضها البعض في تصعيد مستمر .
- 10- إن **الإبداع الخالقي** بمواصفاته الفائقة وخطواته المميزة من تحطيم وإعادة صياغة، ثم ما يترتب على ذلك من نبذ واضطهاد وإصرار وتحد، هو أقرب الصور للعدوان الحضاري مباشرة دون إعلاء أو إبدال ولكن بالمعنى التوافقي والولافي الأعلى.
- 11- يبدو أن إتاحة الفرصة لمثل هذا الإبداع الخالقي بجرعات متزايدة ولأعداد متزايدة هو الوقاية الأولى من مخاطر الدمار الشامل أو الانقراض التي تهدد وجود الإنسان في مرحلته الخالية (وهذا النوع مثل كل إبداع لا يقتصر على إنتاج الإبداع وإنما على معايشته أساسا) .
- 12- إن توظيف طاقة العدوان في الإبداع - بكل أشكاله ومستوياته- لا يتناقض مع نظرية التنشيط الدوري لأجندية الإبداع، ولا مع الجدلية الضرورية في مواجهة نقيض الإبداع (الجنون السلبي التناثري) .
- 13- إن ثمة تعديلا قد أضيف في هذه المرحلة من تطور فكر المؤلف، فقد عدل عن التركيز على دور طاقة العدوان في **تحطيم**

القدح - ما دام التنشيط الدورى يقوم بالتمعنة تلقائيا، لكنه يركز على قدرة طاقة العدوان على الاقتحام، اقتحام طبقات الوعى للمبدع ذاته، واقتحام استاتيكية السكون، ثم اقتحام وعى المتلقى.

14- إن دراسة أنواع الإبداع من منظور بيولوجى الجذور، وظيفى المحتوى، غائى الدافع.. يمكن أن تفتح آفاقا جديدة لبحوث تبين على تفرقة جديدة تساهم فى مسار الإنسان وتكامله ولاتركز على سماته وإتقاناته الطرفية- على الرغم مما فى ذلك من إسهام إيجابي لاجدال فيه- إلا أنه يحتاج إلى أن يتكامل مع دراسات نوعية أعمق.

وبعد

لا معنى لاعتذار جديد،

ليس فقط لأنه كذب بشكل ما، ولكنى شعرت أن فيه قدر من الاستهانة بصبر وقدرة أصدقائى الذين يتحملون ما يلج على لتوصيله إليهم من خلال هذه النشرة ربما لأننى لا أتصور أن عندهم الصبر أو الوقت للرجوع إلى أصول هذا التنظير فى الموقع.

ثم إننى اكتشفت وأنا أنهى هذه النشرة اليوم أن الاحتجاج بأن هذا العرض هو للمتخصص فى الطب النفسى حتى يحسن التعرف على الطبيعة البشرية التى يتعامل معها هو أيضا خطأ منى لا أستطيع أن أعمسك به، إذ لم يعد أغلب الأطباء يهتمون بمثل ذلك أصلا.

فلمن إذن كتب كل هذا الكلام الصعب؟

لكل من يهمله الأمر

وهم كثير

وأخيرا أرجو أن أعود للرد على مزيد من التساؤلات التى أثارها نشر هذا الموضوع، وخاصة فيما يتعلق بعلاقة الجنس بالعدوان من منطلق تجلياتهما الإيجابية، وربما أيضا عن دور المرأة فى الإبداع بشكل خاص.

- إن الدعوة إلى استيعاب العدوان فى حركية الإبداع لا يمكن أن تقتصر على تنمية المواهب، أو الحفز على الإنتاج الإبداعى، بقدر ما تشير، وتوصى بضرورة خلق محيط من الحرية والحركة والمحاولة فى كل مجالات الحياة تسمح باستيعاب هذه الطاقة فى مختلف أشكال، ومراحل، ومستويات الإبداع.

الإربعاء 26-03-2008

208- لغة الجنس، والجنس كخنة

(مقتطف مع تحديث محدود من محاضرة بتاريخ 1998/12/15

ألقيتها في المجلس الأعلى للثقافة عن "الوظيفة الجنسية من التكاثر إلى التواصل")

مقدمة قبل المقتطف

انطلاقاً مما جاءني من تعقيبات وتساؤلات عقب نشرات العدوان والإبداع، والتي أشرت فيها كيف لا ينبغي أن نتعامل مع أي من الغرائز بنطق الخجل أو التسامي أو الإزاحة، بمعنى أن الغرائز كانت وسوف تظل جزءاً من تركيبنا الطبيعي، وأن وظيفتها تتطور وتتحوّر مع تطور الحياة وأطوار الإنسان، وبالتالي فإننا نسمو بها وليس على حسابها، وعلى هذا تصبح مقولة التسامي عنها في حاجة إلى وقفة ومراجعة، حتى لا يكون الارتقاء والتمدد - مثلاً - هو الذي يستوعب طاقة الجنس بدون جنس ..، وحتى لا ننكر أو نكتفي بمشاهدة العدوان في السينما والرياضة من الوضع جلوساً (هذا ناهيك عن اندلاعه في الحروب والإبادة).

نحن ننمو، نتحضر، نبدع، بما هو نحن كلاً كاملاً، بغرائزنا وليس على حسابها.

أقول: شعرت مما وصلني أن هذه المسألة تحتاج إلى توضيح بالنسبة لكل الغرائز

قلت: أبدأ بالغريزة الجنسية فهي الأسهل استيعاباً وربما تقبلاً حتى في وظيفتها البدائية قبل أن انتقل للدفاع عن غريزة العدوان سيئة السمعة على معظم المستويات.

تذكرت هذه المحاضرة التي سوف أعود للاقتطاف منها غالباً حسب التعقيبات التي قد ترد إلي، وفضلت أن أبدأ بقراءة لغة الغريزة الجنسية في التواصل أساساً

إلى المحاضرة :

بدأت - في المحاضرة - بالتنبيه على دلالة تناول موضوع كهذا بغير لغته كالتالي:

انفصال الجنس عن اللغة الجنسية

لماذا نطفئ الأنوار ونحن نتحدث عن الجنس حتى يكاد نقلب حديثنا رطانا في موضوع لا يصح فيه الرطان، أنا أتكلم عن الاختيار بين اللغة الصريحة المباشرة التي تسمى الأشياء بأسمائها، في مقابل اللغة المنافقة المغترية (المسماة المحتشمة)، ناهيك عن وضع نقط في الكتابة محل ما يسمى الألفاظ الخارجة (خارجة عن ماذا بالله عليكم؟) أو إصدار أصوات مُهَيَّمة في الخطاب الشفاهي.

إن مجرد العزوف - حتى في مجتمع علمي- عن تناول موضوع مثل الجنس بلغة جنسية مباشرة هو أمر له دلالته، حتى أنه يمكن أن يكون أحيانا ضد مصداقية المتحدث، أو لعله يعلن عن احتمال اغترابه. إن هذا التراجع عن استعمال اللغة الصريحة، لا يُسأل عنه الدين ولا الأخلاق الحميدة، فلا يوجد أصرح في الدين من فقه النكاح، ولا يوجد أصرح في التراث من المراجع التي تناولت هذا الأمر بكل جسارة، ليس فقط في كتب مجهولة المؤلف مثل "رجوع الشيخ إلى صباه"، وإنما في كتب معروفة ومتداولة مثل "نزهة الخاطر" وقد اعتبر فوكوه أن هذا الاحتشام الزائف الذي ساد حتى طغى في القرن التاسع عشر بالمقارنة بالصراحة والمباشرة التي كانت في القرن السابع عشر، هو من أهم السمات التي تميز قهر العصر الفكتوري، وأحسب أننا نمر هنا في مصر والعالم العربي، بمثل ذلك ونحن في القرن الواحد والعشرين، هذا ما يبدو على السطح على الأقل على المستوى الاجتماعي المعلن، وليس هو كذلك على أية حال بالنسبة لما يجري في المستوى الوافعي التحتي المتماذي فيما لا يمكن رصده بسهولة حول وعن هذه المسألة.

على الرغم من كل هذه المقدمة الحذرة، إلا أنني لا أملك إلا أن أجري النفاق الاحتشامي في حديثي اليوم، وغاية ما آمل فيه هو أن أستطيع أن أتجاوزه، متى أحت الضرورة، بأى قدر مهما ضؤل في بعض الهوامش أو الملاحق.

مناقشة هذا التحول الذي طرأ على خطابنا بشأن الجنس هو في ذاته مفتاح ما آلت إليه وظيفة الجنس من إحاطة بالصمت (الرهيب) وخاصة بالنسبة للأطفال، أو من إنكار كامل حتى داخل حجرات النوم الشرعية، ولو أن بحثا أجرى على تواتر إطفاء الأنوار، وإغماض العيون ونحن نمارس الجنس، ودلالة هذا وذاك وعلاقته بالاحتشام المصنوع، وتأثيره على معني وجدوى ونتيجة الممارسة الجنسية، خاصة في المؤسسة الزوجية، لو أننا أجرينا مثل هذا البحث بفروض شجاعة، فلربما نتبين إلى أي مدى ننكر على وعينا ما ننفعل، ونحن ندعي تقاربنا مع الآخر في الجنس للتواصل أو حتى مجرد اللذة، وقد تظهر لنا نتائج هذه الأبحاث أننا نمارس الجنس وكأننا لا نمارسه، أو: كأننا نمارسه مع مجهول، أو: وكأننا نسرقه من ورائنا (وليس فقط من ورائهم).

ثم اقتراح ببحث آخر يستقصى ماهية اللغة التي يستعملها أطفالنا - من مختلف الطبقات والثقافات الفرعية- لتسمية

الأعضاء الجنسية (البوبو، الكلمة العيب... الخ) وسوف نكتشف كيف ننكر، أو نتنكر لكل ما هو جنسي منذ البداية .
 إن تعبير أن هذا اللفظ أو ذاك "يخدش الحياء" يحتاج إلى وقفة يمكن أن تأخذ وقت المحاضرة كلها، لأنه تعبير يدل على أن النفاق عندنا قد أزاح الحياء الحقيقي، ليحل محله حياء زائف سابق التجهيز، ولا بد أن يكون هذا الحياء الزائف هش أو زجاجي القوام، وأن يكون اللفظ الجنسي الصريح، ماسي الجوهر قادر على الخدش بمجرد أن نتلفظه، وإلا فما معنى هذا التعبير "يخدش الحياء العام"، ثم: أليس ما يخدش الحياء العام، هو هو ما ينبغى أن يخدش الحياء الخاص، أم ماذا ؟؟؟!

لقد حدث انشقاق بين الكلام ومضمونه الحقيقي في كثير من المجالات، وربما في هذا المجال بوجه خاص، انشقاق بين اللغة الحقيقية، والمتولدة والمباشرة وهي لغة الناس (الذين يسمون -الآن- "بيئة"، وهي أقرب كلمة لمعنى الثقافة الخاصة) ولغة الطبقة المحتشمة (أو المغلفة بالاحتشام) وهي اللغة التي تكاد أن تصبح "لا لغة" لتفريغها من وظيفتها، وكان من بعض نتائج ذلك ما لحق بموقفنا من الجنس، بل إن هذا الانشقاق نفسه يمكن أن يصبح ذا دلالة تفيد تدعيما لهذا الموقف وإبقاء على استمراريته .

أورد هنا بعض مظاهر دلالات استعمال اللغة الجنسية بصورها المختلفة في حالتنا الآن:

(1) أصبح الحديث عن الجنس بلغة جنسية يصنّف المتحدث في موقع طبقي بذاته فهو إما في أدنى الشرائح، أو أعلاها، وإن كانت الشرائح الأعلى قد تلعب لعبة أكثر خفاء فتتحدث عن الجنس بلغة جنسية صريحة لكنها أجنبية، وهو نوع من "الصراحة المستورة" (إن صح التعبير) وهي أكثر كذبا لا تجملا .

(2) حلت الأفلام الجنسية محل الحديث الجنسي المباشر، (ربما كما حل التليفزيون محل الحوار الأسرى المباشر)

(3) أيضا حلت النكت الجنسية محل الأحاديث الجنسية (وأحيانا محل الممارسات الجنسية)

(4) أصبح العلم، ومنه هذه المحاضرة، وربما التدريس، يدرس بلغة باردة باهتة، وكأنك تصف رائحة زهرة بعدد من معادلات، على كمبيوتر ملون .

(5) لم يعد التراث الصريح الخاص بالحديث عن الجنس، وفي الجنس، في المتناول أصلا، حتى ألف ليلة وليلة، أو الأغاني، بل إن الأيدي امتدت إلى التراث المعاصر، ليس فقط بواسطة الرقابة والسلطات الرسمية، وإنما بواسطة الناشرين أنفسهم (حكاية السحار وعبد القدوس وقيل بعض محفوظ) .

أخلص من هذه المقدمة بالقول: إن انفصال لغة الجنس عن الجنس، سواء في الحديث عنه، أو تعليمه، أو حتى ممارسته، هي من علامات انفصال الجنس نفسه عن تكاملية الوجود مع الجسد

• خذ مثلا العُقلة (في الكلام = هي وقفة لا يمكن - أو يصعب- تحريكها، Stammering)، وما يقابلها في الجنس من العجز عن المبادأة أصلا، وبما أن الشائع أن المبادأة (لا النداء) تبدأ عادة من الرجل، فإن هذه العقلة الجنسية تظهر في الرجل أكثر وضوحا مما تظهر عند المرأة حيث هي تقابل، تعلن (العجز عن الانتصاب) وهو ما يقابل العُقلة في الكلام، في حين أن المرأة قد لا تكتشف صعوبة توقفها إلا في مراحل متأخرة من الحوار (الجنسي).

• ثم خذ عندك التهتهة (في الكلام، وهي حركة لا يمكن - أو يصعب- إيقافها، Stuttering)، وهذا ما يصيب الرجل في الجنس أظهر أيضا، كما يصيب المرأة أخفى. في الجنس تحدث التهتهة حين تتذبذب الاستجابة حدة وفتورا، وكأن الخطاب الجنسي بعد بدايته يجد من المعوقات الداخلية والخارجية، الحقيقية والمتخيلة، ما يعرقله بانتظام وتكرار، وهكذا

ودون الإطالة في تعداد أنواع أخرى من الاضطرابات الجنسية وترجمتها إلى ما يقابلها من اضطرابات اللغة، (الأمر الذي قد نعود إليه لاحقا) دعونا نتساءل عن ما هو المضمون الصحيح المناسب لانتقال الوظيفة الجنسية من مجرد التكاثر، إلى زخم (وصعوبات) التواصل؟ وبالتالي يمكن أن نتصور قصورنا دون تحقيق هذا المضمون أو نجاحنا في ذلك إذا ما أحسنا الإنصات لهذا المضمون المأمول.

الجنس في جملة مفيدة

أستطيع أن أتصور أن الجملة المفيدة التي يريد الإنسان، في نهاية النهاية، أن يقولها بالممارسة الجنسية الإنسانية (بعد تجاوز اقتصرها على التكاثر) وانطلاقها إلى وظيفتها الجديدة وهي التواصل يمكن أن تقول،:

"إن وجودي يتحقق أكثر بوجودك معي لتتحقق انت لك بي/معي، وأنا كذلك: أقرب، أدخل، أكثر التحاما. لا ألتيك وأنا خارج، ولا أتلاشي فيك وأنا داخل، لا أبلعك وأنا أحتويك، ولا ألتك وأنا أنسلخ منك، أبتعد لأكون نفسي فأندخل لأكونك، أسمح لك ولا أخشى الانسحاق، وأتركك فلا أخشى اختفاؤك، حتى نتلاشى معا، فينا، لنتخلق من جديد، جديدين معا "

نلاحظ هنا أن هذه الجملة لم تظهر فيها اللذة لذاتها،

الجملة من بدايتها لنهايتها متمزة بلذة قادرة على الدفع فالحفاظ على تحمل كل هذه المخاطرة بالتلاشي (أنظر بعد).

إذا استطاعت الغريزة الجنسية ملتحمة بكل الوجود أن تقول مثل هذه الجملة المفيدة، فإنها تعلن أن الجنس يؤدي وظيفته التواصلية كأروع ما يكون الإبداع الذاتي "معا".

إذا صح أن الجنس قد تجاوز دوره التناسلي (التكاثرى) إلى هذا الدور التواصلى الإبداعى، فإن معنى التكاثر البشرى يمكن أن تعاد صياغته من خلال تطور نوعية الوجود البشرى،

وليس مجرد الحفاظ على النوع، بمعنى أنه إذا كان التكاثر الخلوي ينشأ من اندماج خليتين حتى لا يعودا كذلك إذ يتخلق منهما كائن جديد، وأن هذا يتم عن طريق رشاي الدافع الجنسي من شبق ونداء واستجابة ولذة متبادلة، فإن التواصل بالجنس نفسه يمكن أن يحقق نفس الوظيفة ولكن على مستوى الفرد نفسه بالمعنى الوجودي كله، أي أن الممارسة الجنسية في صورتها الإبداعية المطلقة إنما تحقق هذا الإحماء فالتجدد (الجنس كإعادة الولادة) باستمرار.

تنبيه لا تراجع:

حتى لا يبدو القول مرسلا وكأنه تفكير آمل، أود التنبيه على شروط قراءة هذه الجملة الصعبة التي هي في الأغلب: غاية لا بداية، قائلا:

- إن هذه الجملة لا تقع في بؤرة الوعي بالضرورة، بل إنها غالبا ما تكون بعيدة عن دائرة الوعي الظاهر أصلا.
- إن مصاحبات الخيرات الجنسية، ومقدماتها، وبدائلها، وتجلياتها قد تعبر أكثر عن هذه الجملة المفيدة، في حين أن الممارسة الجنسية نفسها تبدو أحيانا وكأنها تفتقر إليها، وهذا لا يدل على غيابها الحقيقي، وإنما هو قد يشير إلى صعوبة التحام الجسد مع الوعي في وجدان كياني لحظي بشكل مباشر متصاعد.
- إن التيقن من اختفائها تماما قد يضبط الغريزة الجنسية وقد ارتدت إلى بدائيتها، ربما دون إذن صاحبها.
- إن فرط الدراية بهذه الجملة حاضرة كمراتب دقيق في الوعي الظاهر، قد يصبح معوقا للممارسة الجنسية السلسة، وليس دعما لتحقيقها.
- لكل ذلك، فإن جملا أخرى، وإن كانت تبدو أقل إحاطة، تقوم بوظيفة التدرج، والتيسير، حتى يحقق الجنس هدفه التواصل الإبداعي، دون مواجهة بصعوبات مُعيقة من البداية.

جمل جنسية مساعدة، داعمة أو بادئة:

إنه لكي يتحقق مضمون هذه الجملة الصعبة، فإن الأمر يحتاج إلى جهد ثنائي من الجانبين لا من جانب واحد، ويدهى أن مستوى الوعي بها، ومستوى التطور البشري لكل شريك، ومستوى القدرة على تحقيقها يختلف مثل كل الاختلافات الفردية ومن ثم تقوم الدفاعات النفسية، والاحتياجات الجزئية، والأوامم الغرامية باللازم للتخفيف من وطأة هذا التحدى الصريح الصعب، الذي يزداد صعوبة إذا استعمل الحوار الجنسي - بالمكانزمات المختلفة - للتعبير عن أشياء قد لا تكون لها علاقة مباشرة بالممارسة الجنسية نفسها.

لما كان فرط الوعي بهذه الجملة الجامعة قد يصبح عائقا عمليا على أرض الواقع، وخاصة أن تحقيقها هو غاية أكثر منه بدءا كما أشرنا، فإن ثم جمل أخرى أخف ثقلا يمكن أن

نستمع للجنس وهو يقولها في أطوار مختلفة من أدائه أو تطوره، هذه الجمل وإن تبدو لأول وهلة بعيدة عن الهدف الإبداعي التواصلي للجنس، فإنها جزء من الحوار الجنسي وهي تبدو ضرورة مرحلية نافعة، على الطريق إلى **الجملـة الأكملـة، والولاف البعثـة**. ومن ذلك (على سبيل المثال):

- أنا خائف أريد أن أرجع لرحم أمي
- أنا خائفة أريد أن أحتمي في ظلك أبي
- هل تريدني (أنت تريدني): إذن أنا موجود
- هل أرضيك؟ (أنا أرضيك) إذن ثم من يحتاج وجودي.
- أنا أبحث عنك، فدعني أجُدك
- أنا أجُدك رويدا رويدا فلا تنسى أو تنكر
- أنا أصدّقك، دعني أصدّقك أكثر
- أنا أكتملك بك، لكن ثم صعوبة، لا تراجع

.....إلخ

هذه أمثلة لحضور الطرفين في حوار يعلن امتزاج وعى مشترك، وبديهي أنها لا تجرى بهذه الرموز المحددة، مع أنها أخف من الجملـة المفيدة الجامعة الأولى.

الجانب الآخر

بقدر ما تكون مثل هذه الجمل السالفة الذكر التي يقولها الجنس (دون ألفاظ) مفيدة أو بادئة واعدة لما يمكن أن يصبح تواسلا، يمكننا إذا أحسنا الإنصات إلى الجانب الآخر من لغة الجنس أن نستمع إلى جمل أخرى مغتربة، ومجهضة، وهي لغة تكشف بشكل مباشر، أو من خلال نتائجها، طبيعة ما يمارس من جنس اغترابي (عمره قصير عادة)، ذلك لأنه مبني على ما لا يحفظه أو يحافظ عليه، لأنه إذا كانت لم تعد بنا حاجة إلى الجنس بكل هذا التكرار للحفاظ على النوع (التكاثر)، وفي نفس الوقت هو (الجنس) لم يرق ليقول الجملـة المفيدة السالفة الذكر، أو حتى الجمل المساعدة، فإنه يصبح ممارسة مغتربة، قهرية أحيانا، منفصلة عن الوجود الكلي، عاجزة عن تحقيق وظيفتها الجديدة أصلا، كل ذلك يمكن رؤيته من خلال الموقف الأساسي لهذا الجنس المغترب (الذي قد تبرره اللذة لبعض الوقت، كما قد تطيل عمره الذاتية المعلنة أو الخفية، المتبادلة أو أحادية الجانب) هذا النوع من الجنس يعلن **نفي الآخر من البداية**، فلا يعود إلا مسقطا لاحتياجات الذات، أو وسيلة لتحقيق اللذة الذاتية الاغترابية التي تلغي الآخر،

على هذا الجانب الآخر يمكن الإنصات لما يمكن أن يقوله الجنس من جمل سلبية يقولها الجنس، لا تُخدم التواصل، بل لعلها تقطع التواصل، أو تُجهضه، أو تُنفيه، قبل أن يبدأ أصلا، ومن ذلك:

- أنا أمتلكك وهذا يجعلني أكثر أمانا وثقة بنفسى
- أنا أحسن استعمالك، وعليك أن تسعد بذلك
- أنا أختفى فيك فلا يبقى منى شيء، ولا وجود لى إلا بك أداة نافعة
- أنا أستمد وجودى من قبورك لى هكذا، وإلا الضياع (ضياعى)
- أنا ألتهمك (فأضمن استمرارى) فلا يبقى منك شيء بعد تمتعى بلذة التهامك ...
- أنا أحتاجك حتى أشبع، على شرط ألا يتبقى من ذلك شئ... (فلا يهددنى التلاشى فالبعث)
- إلى غير ذلك من كل تباديل الحب والغرام والرشوة والاستعمال، دون ولادة أو بعث.

صعوبات وصعوبات

نجاح العملية الجنسية فى ذاتها ليس دليلا على نجاح التواصل، بل إن الصعوبات الجنسية قد تظهر وتشتد أكثر حين تكون اللغة الجنسية السليمة قد وصلت إلى الوعى أو اقتربت منه حتى أصبح التواصل الحقيقى شرطا للقاء بشكل أو بآخر.

أما إذا ألغى احتمال التواصل أصلا، وأصبح الجنس مغتربا ذاتويا تماما، فإن الممارسة الجنسية قد تنجح ، وإن كان عمرها الافتراضى يتناقص باستمرار.

استعمال الجنس" لغير ما هو (لا للتكاثر ولا للتواصل)، يؤدى به إلى أن تعتبر المرأة شريكها (شعوريا أو لا شعوريا) مجرد مذبذب، فى حين يعتبر الرجل المرأة (شعوريا أو لا شعوريا) بمثابة وسادة إستمنائية.

فإذا تجاوز الطرفان أو أحدهما هذا الحوار السلى للجنس، إلى ما هو أرقى، فقد يعلن ذلك فى شكل عرض (أو مرض) ، يمكن علاجه باحترام شديد، بدلا من اعتباره انحرافا أو قصورا.

ومن أمثلة ذلك:

(1) تظهر العنة مثلا حين يكون "الموضوع" (الشريك) "موضوعا"، أو ملوجا أن يكون موضوعا حقيقيا (كيانا بشريا منفصلا مشاركا)، أو واعدة بذلك، أو حين يشترط الشريك ذلك، وكأن العنة تقول:

1- إختلت إسقاطاتى، فلم أعد أستطيع أن أقرب منك إلا "موضوعا حقيقيا،" ليس فى مقدورى أن أكذب

أو لعلها تقول:

ب - إن لذتى لا تتحقق إلا بأن أستعملك دون أن أعرف عليك، فما دمت قد تعرفت عليك فأنا عاجز الآن.

(2) وقد تقول المرأة بالبرود الجنسي:

أ- أعرف كذبك ولا أريد أن أشارك فيه، رغم البداية الخادعة معك

أو لعلها تقول:

ب- اكتشفت كذبك، ولم أستطع أن أتمادى فيه

(3) وسرعة القذف قد تقول:

أ- رجعت في كلامي، لا أحتملك كآخر، لا أطيق الاستمرار، نُنْهها أحسن.

أو لعلها تقول:

ب- أخاف من التلاشى. قد أموت بلا عودة، يكفى هذا

أو ربما تقول:

ج- خفت أن أدخل لا أخرج، أو أن أخرج لا تسمح لي ثانية. سلام.

..... وهكذا

هامش عن معنى انتشار الفياجرا هكذا

إن انتشار استعمال الفياجرا حتى عند الشباب، وفي الصعيد أكثر (كما بلغني من الممارسة الإكلينيكية مؤخرا)، وفي المؤسسة الزوجية أكثر فأكثر، إنما يؤكد انفصال الأعضاء الجنسية عن كلية وجود صاحبها فسيولوجيا ونفسيا ووجوديا وهو لا يتيح الفرصة لاختبار لغة الجنس التواصلية الصادقة، ولا حتى اللذية المؤقتة.

أنا لا أريد أن أعمم فأنصح بتجنب هذه المساعدة في حالات خاصة، ولوقت محدود، فقط أريد الإشارة إلى أن هذه لعقائير المألثة للجهاز الجنسي الطرفي إنما تسمح للمخ الأعلى فالوجود الأشمل أن يتخطى صعوبة موضعية مؤقتا لها أسبابها المحدودة ، بما يتيح له أن يكمل أن يمارس وظيفته الجنسية، سواء كانت اغترابية، أم تواصلية مبدعة، ومن ثم فإن فضل الفياجرا هو أنها تعمل بمثابة تأكيد ضمان كفاءة الجهاز الطرفي بما يتيح للجهاز المركزي الأعلى أن يستعمله كيف شاء متى شاء،

أما إذا كان استعمال مثل هذه الكيمياء هو البداية والنهاية، فإن تمادى الانفصال لا التواصل هو الأكثر احتمالا.

الخطر الحقيقي، حتى تطوريا، هو أن تساعد مثل هذه العقائير على تراجع دور الجنس من لغة للتواصل إلى أداة للتفريغ واللذة وإزالة التوتر لا أكثر، ذلك أن الانتصاب الطبيعي في حد ذاته يعلن أن المخ وافق على الاقتراب، فأرسل رسائله التي أعلنها هذا النجاح الفسيولوجي ممثلا في الانتصاب.

وأنا أنسلخ منك، أبتعد لأكون نفسى فأتداخل لأكونك، أسمح لك ولا أخشى الانسحاق، وأتركك فلا أخشى اختفاؤك، حتى نتلاشى معاً، فينا، لنتخلق من جديد، جديدين معاً "

ومعنى الاختفاء هنا هو تلاشى الفرد في اللقاء كخطوة لازمة لكي يعود جديداً، وهذه الخطوة ليست مجازية في التناسل البيولوجى، وهى كذلك بالنسبة للجنس التواصلى الإبداعى فإن نفس الخطوات تتم ولكن محل التناسل البيولوجى تخليق الذات (الذاتين) أى التغير النوعى للشريكين، بمعنى إعادة الولادة أو إبداع الذات من خلال لقاء الآخر والاندماج فيه حتى التلاشى

ولو أننا صورنا هذه الجملة المفيدة بالتصوير البطئ، ثم تصورنا توقيف التصوير إذن لضبطنا هول لحظة التلاشى، (العدم / الموت) وكأننا بذلك نكتشف أن الجنس التواصلى الإبداعى لا يتم إلا إذا تحقق الموت (كخطوة) ومن ثم البعث.ولكن من يضمن؟

وقد كنت أرفض قديماً بشكل ساخر تعبير "أموت فيك، وتموت فى ثم انتبهت مؤخراً إلى احتمال أن هذا الموت بالجنس هو فى نفس اللحظة إعادة ولادة، وبالتالي فإن فيومينولوجيا الجنس تؤكد على هذه العلاقة الوثيقة بين الجنس الكامل، والموت/البعث

ومن ثم فإن الخوف من الجنس حتى العجز، يمكن أن نتتبع معناه من عمق معين، حتى يثبت فى بعض الحالات أنه ليس إلا خوف من الموت دون بعث، وهو ما أشرنا إليه فى الفقرات السابقة فى جملة الذهاب بلا عودة، أو جملة الدخول بلا خروج.. إلخ

كما أنه قد يكون خوفاً من تلاشى الآخر التهاماً (ومن ثم القضاء عليه)، بلا عودة أيضاً، أى أن يكون الجنس سبباً فى فقد الآخر، وبالتالي الحرمان من مصدر وشريك الجدل الخلاق

ولكن لهذا حديث آخر، غالباً.

- كثير من المناقشات التى دارت حول مسألة اللغة المستعملة فى تناول المسألة الجنسية حتى فى سياق أدبى كان وراءها بحث فى دلالات ذلك عبر التاريخ من أول الموقف من عوليس جيمس جويس حتى كتابات د، ه لورنس، هذا بالإضافة إلى دلالة ما لحق بديوان الحسن بن هانئ، وألف ليلة وليلة، وغيرها من مصادر التراث.

وقد تراجعت فى آخر لحظة عن أن أقتطف ما يدعم موقفى من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطراتأليف قاضى الأنكحة أبى عبد الله محمد بن محمد النفزاوى إذ يقول " الحمد لله الذى جعل اللذة الكبرى فى ..إلخ"، وسوف أكتفى بالإشارة إلى خطاب الوزير الأعظم "عبد العزيز صاحب تونس وهو يدعو إلى تأليف الكتاب بعد اطلاعه على كتاب سابق (تنوير الوقاع فى أسرار الجماع)، يقول الوزير "...لا تحجل ..فإن جميع ما قلته حق،... (و) هذا العلم...يحتاج إلى معرفته ثم يضيف: ولا يجمله ويهزأ به إلا كل جاهل أحمق قليل الدراية"... إلخ

الخبيس 27-03-2008

209- قراءة في أحلام فترة النقاوة

(حلم 43) ، (حلم 44)

حلم 43

ليلة الزفاف ابن عمى تقام في بيتنا بالعباسية بين الطبل والأغانى. يتقدم ابن عمى تتأبط ذراعه عروسه في حلة العرس. وقبل أن يصعدا السلم إلى الداخل يعترضهما مفتش الشرطة. ذهلنا وتساءلنا عما وراء ذلك. انقض المفتش على العروس فتفحص وجهها وأخذ بصمتها على لوح صغبر وفحصه بمنظار مكبر وألقى القبض عليها وسار بها إلى سيارة الشرطة، وأدرك الجميع ما يعنيه ذلك

وأقبلوا على ابن عمى يواسونه ويمدون الله الذى نجاه من شر أوشك أن يطوقه،

ورغم ذلك فقد مضى الشاب وهو يبكى وقررت أن أمضى الليلة في بيت العباسية مع أهلى ولكنى اكتشفت أن جميع مصابيح الكهرباء معطلة.

فسألت أختى كيف يعيشون في الظلام. واكتشفت أيضا أن جدرانهم تحتاج إلى ترميم ودهان وضقت بالمكان ونويت أن أصلحه، وأعيده إلى رونقه القديم.

* * * *

القراءة

نبدأ من الآخر وهو يسأل اخته "كيف يعيشون في الظلام"؟

ترى أى ظلام؟

ظلام أنهم ليسوا على دراية بسذاجة ابن العم الذى كاد يشوه سمعة الاسرة وهو لا يميز من يناسبها من مصاهرة؟ أم ظلام عدم احترامهم لمشاعر شاب اختار، وانكسر في ليلة عرسه، ولم يصلهم معنى بكائه من أثر الفضيحة، أو ربما من لوعته لفقد العروس، أو من شعوره باحتمال الظلم.

هل منظومة القيم الظلامية هذه هى كذلك لأنها لا ترى إلا

ظاهر الظاهر دون أن تتيح الفرصة لرأى آخر أو رؤية مختلفة فهي تحتاج إلى ترميم؟ وهل يا ترى يكفى الترميم أم سيكون دهانا يحفى الشقوق لينسى الجميع الفضيحة "وكان الذى جرى ما كان"؟

لاحت لى علاقة ما بين الترميم هنا، وبين ما جرى فى حلم (8) الذى انتهى بجوار بينه وبين أمه حين التقاها وقد خرج من البيت وقرر ألا يعود إليه مدى الحياة، وقالت له

- أنت السبب فيما حصل
فثأر غضبه وصاح

- بل أنت السبب فى كل ما حصل
ثم راح يمضى فى الهرب؟

الفرق هنا هو أنه حين ضاق بالمكان، والظلام لم يهرب، بل قرر أن يصلحه ويعود به إلى رونقه القديم.

هل هذا الرنونق القديم هو "من كان منكم بلا خطيئته؟، أم أنه قيمة "العدل والاحترام"؟

أم كلاها،

أم هو مجرد مزيد من طلاء لامع على جدران متآكلة؟

ثم من أدرانا أن البوليس كان على حق فيما فعل؟

من أدرانا أن من تقبض عليه الحكومة هو مجرم، وهو لم يحاكم بعد؟

لم يظهر فى الحلم ما يشير إلى أى دليل على موضوعية مثل هذه الاجراءات التى بررت أن ينتزعوا العروس هكذا من عريسها فى ليلتهما، وهم فى مرحلة أخذ البصمات، ومن ذا يستطيع أن يتحقق من تطابق البصمات بالنظر بمنظار مكبر وكأن البصمة الأخرى قد انطبعت فى ذاكرته؟ إذن هم لم يتحققوا يقينا بعد من ما إذا كانت بصمات العروس ستطابق من يشتبهون فيها أم لا

إلى متى نعيش فى هذا الظلام؟

* * * *

حلم 44

مقدمة قبل القراءة

اكتشفت أننى سبق أن قدمت نقدا منشورا لهذا الحلم (44) بالاضافة إلى حلمى (124)، (113)، حيث ربطت بين هذه الأحلام الثلاثة وبين إحدى فقرات **أصداء السيرة الذاتية**، وفضلت أن أثبت النص بأكمله هنا الآن، لعلى أعرض بعض ما أنويه فى "الدراسة الشاملة" لكلا النصين معاً، بعد تجميع كل على حدة، ربما!!

من هنا وجب التنوية على خطورة التعميم - برغم الجملة الاعتراضية التي لا تكاد تغني- خصوصا إذا جاء هذا التوجه إلى التعميم من وزير يجاطب نائبا في مجلس الشعب

رحت أبحث عن هذا الذي أشار إليه الوزير عفوا أو توفيا، وهو يقول " على سبيل المثال لا الحصر". لم أجده في الأصدقاء بشكل مباشر، لكنني وجدته في حلم 142 من أحلام فترة النقاها،

نقرأ معا "نص" هذا الحلم

* * * *

حلم 142

هذه القطعة من الأرض الفضاء هي ميراثي الوحيد وقد أطلق عليها اسم الخرابة لطول ما عانت من إهمالها. وما أن رُزقت بعض المال حتى فكرت جادا في تعميرها، ولكني لم أقدم لكثرة ما عرفت من حوادث النصب وفساد الذمم، حتى سألت جاري الحكيم: ألا يوجد في الدنيا شخص خيّر؟ فأجابني بأنه موجود ولكن يتطلب العثور عليه عزمًا وشجاعة وحنًا لا يتوقف.

القراءة

في الصدى المثبت في البداية كان السائل نائبا (برلمانيا!)، وكان المسؤول وزيرا، في حين أن السائل هنا في الحلم هو صاحب حق بسيط، وميراث محدود، يبحث عن شخص أمين يثق فيه، والمجيب هو جاره الحكيم. هل يا ترى كان هذا كامن في عمق إبداع محفوظ، مع أن الفارق الزمني بين كتابة النصين يكاد يقرب من عشر سنوات؟ الجار الحكيم يثق في خير الناس، ويعرف أن الأصل فيهم هو الأمانة والصدق، فهو يوصي السائل أن يجد في البحث بشجاعة وعزم ومثابرة.

هذا النوع من اليقين لا يوصل صاحبه فقط إلى الإقرار بأن الدنيا بخيرة، لكنه يلزمه - ضمنا - أن يكتشف الخير بنفسه، وأنه إن لم يجده، فليس عليه إلا أن يشك في مجته، لا أن يدمغ الناس أو يحكم عليهم ويصنفهم -كما فعل الوزير - باعتبارهم بلهاء أو مجانين أو ناقصي النضج (أطفال).
نجيب محفوظ لا يعمم.

الإبداع هو الإبداع لا أكثر ولا أقل، فجعلت أبحث أكثر فأكثر عن صورة الوزير في كل من الأصدقاء والأحلام. لم أعثر على ما يعينني في الأصدقاء، لكنني عثرت على بعض الإنارة في الأحلام.

نقرأ أيضا "نص" هذا الحلم

* * * *

حلم 113

أخيرا حضر الوزير الجديد فقدمت له نفسي باعتباري سكرتيره البرلماني ولكنه لم يفهم كلمة من كلامي، فحاولت شرح

عملى ولكنه نهزنى بمجة وأمر بنقلى من وظيفتى، وهكذا بدأت المعاناة فى حياتى ثم شاء القدر أن يجمع بينى وبين الوزير فى مكان غير متوقع وهو السجن، وبعد أن أفقت من ذهولى أخذت أذكره بلقائنا الأول وما جرى فيه حتى تذكر، وتأسف، واعتذر.

وانتهزت فرصة وجودنا فى مكان واحد كى أشرح له عمل السكرتير البرلانى.

القراءة

نلاحظ فى هذا الحلم ، مقابلةً بالصدى (التحدى: فقرة 32) ، أننا ما زلنا فى جو البرلمان (مجلس الشعب)، وكما كان الحوار بين أحد النواب وبين الوزير فى الصدى، جاء الحوار هنا بين السكرتير البرلانى والوزير. من أجل الإبداع هنا تعمد التجهيل لحيقة نوعية عمل ما هو "سكرتير برلانى"، هذا التجهيل يفزك فوراً للبحث عن سر (سيم) الجارى، وقد تشم رائحة بها ما يشير إلى أن المهمة الحقيقية لهذه السكرتارية البرلانية قد تكون ممارسة أساليب التحايل، والتستر، والتلاعب، وترتيبات الصفقات، وتسريب المعلومات، بحيث يصبح التساؤل حول كل ذلك علانية أمراً أقرب إلى البلاءة. من هنا يمكن الاستنتاج أن الذى فصل من وظيفته فى هذا الحلم لم يكن الموظف الذى سجن مع الوزير، لكنه كان المبتدئ الأهل الذى راح - من فرط خيبته- يتصور أنه عين سكرتيراً ليكون سكرتيراً، فى حين أن السكرتير الحقيقى (وهو بداخله أيضاً) هو الذى يشارك الوزير نشاطاته السرية، دون إعلان طبيعتها، ولا تسميتها. المعاناة التى بدأت بعد عقابه بالفصل لم تكن لأنه ترك وظيفته، ولكنها كانت لأنه اكتشف أن ما كان يتصوره "سكرتارية برلانية"، تبين أنها شراكة فسادية عميقة، عليه أن يمارسها بشروطها، فكانت المعاناة وهو يروض نفسه ليقوم بالمهمة الحقيقية تحت المسمى المعلن، دون شرح أو توصيف، ويبدو أنه قد قام بها خير قيام بدليل أنها انتهت به إلى السجن بالسلامة. علينا أن نقرأ نهاية الحلم باعتبارها سخرية تعلن أن وجودهما معا فى هذا المكان المناسب، هو الشرح الحقيقى لطبيعة عمل السكرتير البرلانى.

أكرر بلا ملل أن محفوظ -غالبا- لم يقصد، بوعى هادف، أيا من ذلك، إلا أن إبداعه قام بالتشكيل الدال بكل حبكة وجمال. كالعادة، وكما ينبغى

عاودت البحث عن صورة الوزير فى الأعلام، فإذا بي أجد أنه قد ورد فى حلم باكر(44) بصورة قد تدعم هذا الفرض النقدى البدى.

* * * *

حلم 44

وجدت نفسى جالسا أمام مكتب وزير الداخلية. منذ أيام قلائل كان زميلى فى الجريدة، وكان اختياره وزيرا للداخلية مفاجأة، وانتهزت الفرصة وطلبت مقابلته فاستقبلنى بمودة

وترحاب وعرضت عليه مطلبى وهو توصية لرجل أعمال معروف بصداقته له، لأختار في وظيفة معينة في شركة من شركاته. وكتب بخط يده التوصية المطلوبة وانتهت المقابلة على أحسن حال.

وفي مساء اليوم نفسه وأنا أمشي على شاطئ النيل اعترضني رجل من تسمع عنهم في الصحف، وأشهر على سلاحا وسلب منى نقودى. كانت في حدود خمسين جنيها.

رجعت إلى منزلى مضطربا ولكنى لم اتخذ أى إجراء يؤثر فى الميعاد الذى حدده لى رجل الأعمال، وعند الضحى كنت فى مكتبه، وبعد دقائق سمع لى بالدخول وقدمت التوصية، ولكنى تجمدت فى موقفى لحظة غاية فى الحرج. قلت فى نفسى ارباه .. إنه اللص الذى سرقنى أو أخوه التوأم

ودارت بى الأرض.

القراءة

التكثيف هنا أصعب وأعمق، فالبدائية تقول إن الوزير الخالى ليس إلا صحفى زميل سابق، والنقلة من الصحفى إلى الوزير نادرة، لكنها محتملة (راجع تاريخنا السياسى الأحدث). النقلة هنا أكثر دلالة، لأن هذا الصحفى الحريف لم يعين وزيرا للإعلام أو للثقافة، وإنما وزيرا للداخلية، هكذا خبط لزق، ترى ماذا كان عمله الحقيقى فى الصحافة حتى يعين وزيرا للداخلية؟

من هذين الموقعين: الصحفى الجاهز لوزارة الداخلية، فوزير الداخلية ذو الاتصالات برجال الأعمال الذين هم، نتذكر وظيفتى السكرتير البرلمانى فى الصدى (السالف التصدير به)، وما ذكرناه عن الوظيفة الظاهرة والوظيفة الخفية، ثم تنتقل بنا الصورة حتى نفاجا - مثل طالب الوظيفة - أن قاطع الطريق الذى استولى، وبالسلاح، على كل ما يملكه هذا المسكين (خمسون جنيها سنة 2005) هو هو رجل الأعمال الموصى له بالتزكية

نتذكر أن ما بين كتابة ذلك الصدى وهذا الخلم ما يقرب من عشر سنوات. وبعد مضى ثلاث سنوات أخرى، ولو أن شيخنا كان على دراية بكل تفاصيل ما يجرى، ومعدلات تضخم الفساد، لما بدت للراوى، ولا لنا أية مفاجأة.

تعقيب الآن 2007/3/26

ألا يحق لى أن أمل فى دراسة لاحقة أشمل لهذين النصين
ألا يحق لى أن أصر على أهتمامى بالدورية النقدية لشيخنا الذى لم يرحل.

والدعوة عامة.

- حتى تاريخ نشر هذا النقد الباكر 2-9-2005.

مقدمة:

آسف أن يبدو الحوار مرة أخرى - ربما ليست أخيرة - عائلياً أغلبه، ولكن.. والله العظيم هو ليس كذلك..، ماذا أفعل؟؟!!

د. محمد يحيى الرخاوي: رد على الإبداع الخالق والإبداع التواصلي

أولاً: أحفظ تمام التحفظ على الاستشهاد وضرب الأمثلة بأعمال إبداعية بوصفها ممثلة لكل من (أعنى أقرب ما يمكن أن يسمى) الإبداع الخالق والإبداع التواصلي.

1- هذه أمثلة مربكة أكثر منها موضحة، فهي تتعلق بذائقة معينة هي ذائقة الكاتب/المصنف نفسه، في لحظات معينة عاشها الكاتب/المصنف نفسه، بانطباعات المصنف نفسه، بينما ما رآه الكاتب/المصنف من رؤى دفعته لهذا التصنيف، أو ما مارسه من تحليلات أو قراءات تدعم التصنيف، أياً من هذا لم يطلع عليه القارئ.

د. يحيى:

أوافقك تماماً، وأرفض هذا التصنيف بالذات أن يؤخذ على أنه "إساءة.. أو" لكن يبدو أنني اضطررت إليه إذ كان بمثابة محاولة تسهيل وتقريب لمن يستطع أن يقبل الفكرة من حيث المبدأ، ثم إن لذائقي الحق أن تحاول وتخطئ دون حسم، ولمن يصله الفرق أن يفعل مثلي أو لا يفعل، وأرجع لأقول: أنا ضد التصنيف لأن التداخل وارد، ومطلوب، ومفيد، وواقعي.

د. محمد يحيى الرخاوي:

2- يمكن لأي قارئ (أنا مثلاً) أن يتفق مع رؤية الكاتب لأنواع عمليات الإبداع وتصنيفاتها وربما مستوياتها أيضاً، وأن يتعلم منها أيضاً. ويمكن لهذا القارئ -أيضاً- أن يطبق اتفاقه وما تعلمه على أعمال أو ممارسات في ذاكرته (ذاكرة القارئ) وحسب انطباعاته، ويظل في هذا محققاً لأغراض الكاتب المجردة. ولكن، ومع كل ذلك يظل من حق هذا القارئ أن يختلف

مع الكاتب/المصنف في تصنيفه لأعمال إبداعية بعينها ينتقيها، خاصة وأن الكاتب لم يقدم مبرراته "المنهجية" للتصنيف. هنا تكمن مشكلات منهجية جسيمة، كما تكمن أيضاً مخاطرة تضيق المستوى الأول من الاتفاق أو التضحية به لحساب ما هو هامشي.

د. يحيى:

يا أخي، والله العظيم لم أكن أقصد، ولن أضيف شيئاً على ما ذكرته سالفاً.

د. محمد يحيى الرخاوي:

3- كما أحرص على الإصرار على عدم إخضاع الأعمال الفنية خاصة، والموسيقية على وجه أخص لهذا التصنيف، فالذائقة والانطباعات الجمالية ليست شيئاً ثانوياً في أي عمل فني. حتى ولو أظهر النقد المتخصص عوامل تصنيف ترتبط بأغراض معينة؛ إلا أنه يظل من حق بعض المتلقين أن يختلفوا مع بعض آخر لأسباب شخصية/جمالية خاصة. الغرض المعين هنا هو إبراز وظائف نفسية/إبداعية ترتبط بغرائز فرد وعملياته النفسية كما تحدث في عملية الإبداع في حالة الإبداع، لا بالحكم النقدي المنتظر على ناتج هذه العمليات من أعمال إبداعية. ما لهذه العمليات النفسية وما المستوى العمل أو تصنيفه خالقياً أو تواصلياً (تصنيفاً قد يكون مشتركاً أو غير مشترك بين المتلقين، والاختلاف من حقهم جميعاً)؟ ربما هناك من الإبداع الخالقي ما لا يرقى أصلاً لينشر كعمل فني يتحمل مسؤوليته ومسؤولية تكلفته ناشر، ومع ذلك يظل خالقياً أو تواصلياً بالنسبة لصاحبه، ولسيرته، وللحظته، ولسياقه، ولفرص اطلاعه وثقافته.. إلخ.

د. يحيى:

حاضر، حاضر،

فقط دعني أبدي لك أنني لاحظت أنك تركز على "جماليات الإبداع" أكثر من مسألة ثورة الإبداع الخلاقة في كل من المنشي والمتلقي، وأنت قادر على أن تعرف دلالة تركيزك هذا

د. محمد يحيى الرخاوي:

4- افتقدت الإشارة الصريحة لكون هذه الأوصاف للإبداع وتصنيفاته هي أوصاف لحالات وليست أوصافاً لأشخاص ولا -ربما- لنواتج إبداعية؟ لقد افتقدت الإشارة الصريحة (ولو مختصرة) لهذه النظرة، حتى ولو لم يكن الموضوع يتطرق لحالات العادية والجنون بالإضافة للإبداع.

د. يحيى:

من حقه أن تفتقد ما تفتقد، ولست ملزماً باستطرادات لم تردني، في موضوع آخر يحتاج أن يقدم مستقلاً بكل تفاصيله وأشكرك على أنك انتبهت إلى أنه لا علاقة بين هذا التصنيف وبين حالات الوجود (العادية والجنون، والإبداع)

د. محمد يحيى الرخاوي:

بالنسبة لي هذه فكرة ذات أهمية منهجية بائنة، ولكنني أجد حضورها أو صداها ضعيفاً في سياق هذا النشر المتلاحق (حتى مع تضمن المقال إشارات سريعة تفرق بين العملية والنتائج): إن حالات الإبداع المختلفة - كما عرضتموها في مواقعها الأصلية - في كتابك عن الجدلية، وربما أيضاً حالات العادية والجنون إنما هي "حالات" أكثر منها تكوينات ثابتة، أو أوصافاً لشخصيات أو حتى أوصافاً لأعمال أو نواتج إبداعية مما يضيف إلى تحفظي الشديد على الاستشهاد بأعمال إبداعية أو التمثيل بها. لقد أعجبتني هذه الفكرة (فكرة الحالات) جداً، وبراحتها، وتشجيعها، ومعناها بأكثر من أن تحتفي في ثنايا ما يُنشر الآن مما هو مرتبط بها ومؤسس عليها. فلماذا لا يتم التركيز على "موريتها"؟ ولو في يومية لاحقة.

د. يحيى:

حاضر، أدد مع يا محمد أن تأتي فرصة أن أعرض هذه الفكرة بالذات بشكل أبسط لقارئ اليومية الذي أشعر أنه ليس ملزماً أن أردد للأصل أن يرجع للأصل.

د. محمد يحيى الرخاوي:

ثانياً: أعتقد أن أرقى إبداع خالقي/فائق لا بد أن يخضع نفسه لكثير (إن لم نقل أغلب) محكات الإبداع التواصلي/البديل. إن عظمة أي مثال ضربتموه من أمثلة المبدعين/الفائقين وإبداعاتهم/الخلاقية اضطرت أن تكون تواصلية لكي تسمى إبداعية. لا يمكن لإبداع أو لمبدع أن يتخلى عن تواصليته (حتى بالمعنى الجنسي الذي تتناولونه) ثم يطالب بالاعتراف به مغتبراً، لا مجنوناً. ما يقال عن أينشتاين نفسه، وما يحسب له هو أنه "صاغها"، ويشار كثيراً إلى أنه لم يكن أول من "رآها". كذلك قل ما تريد عن الجماليات التواصلية وإتقان نواتج وتوزيعات وتزامنات وهارمونييات السيمفونية الخامسة، والأمر نفسه ينطبق على الشكل الفني واللغة الجميلة المبهرة ليلالي ألف ليلة، أو لغة النفرى، أو دقة وكفاءة معادلات الفيزياء تحت الذرية الحديثة.

د. يحيى:

يبدو يا محمد أنك فهمت الفروق بين النوعين أكثر منى، لذلك سأتركك براحتك تفعل بها وبي ما تشاء، ولكن دعني أكرر لك ما سبق أن سمعته منى غالباً، سأحكي لك من جديد يا محمد ما سمعته من محمد عبد الوهاب في إذاعة الشرق الأوسط يوماً بالصدفة، وأنا أحجل من حكيه لأنني حكيت له لك مرات كثيرة في مناسبات كثيرة، ولكن دع الباقي يشاركوننا، كانت المذبة تسأله سؤالاً سخيفاً (كالعادة) هل كنت "تبدع" بشكل خاص لكوكب الشرق أكثر من غيرها؟ فأجاب إجابة لا أذكر نصها، أنه لا يوجد شيء اسمه إبداع بشكل خاص وأنه حين يشكل لنا لا يقصد الإبداع لهذا أو ذاك، ثم أضاف ما وصلني هكذا، ربما ليس

بنص ألفاظة: "إن المسألة تبدأ في تشكيل هوامش وهوامش تسمى اللحن، وتظل الهوامش تضطرد وتتنوع حتى تأتي جملة موسيقيّة أو أكثر تكون هي الإبداع، أو لا تأتي، فبالله عليك كيف أرد على سؤالك هذا (للمذبة!)؟"

أظن يا محمد أن صدق محمد عبد الوهاب الذي ما أحببته هكذا إلا بعد أن مات، بإجابته البسيطة الناعمة هذه، يمكن أن يشير إلى احتمال أن ما أسماه "هوامش" هي شديدة الجمال أيضا وهي الأقرب إلى الإبداع التواصلي، أما تلك الجملة (أو الجمل) التي ينتظر حضورها مقتحمة تفرض نفسها أصيلة ليس كمثلها شيء، فهي الأقرب إلى الإبداع الخالقي، (لست متأكدا!)

د. محمد يحيى الرخاوي:

ثالثاً: دعني، في سياق هذه الفرصة "النقدية" التي سنحت، أضيف شيئاً آخر يتعلق بما أريد كتابته منذ يومية "علم هذا؟ أم ماذا؟" ولا يتعلق بهذا المقال تحديداً: إن حضور مخاطب محترم وربما متحدي (أو حتى مهذّب) بمنهجه وعلمه في وعي يحيى الرخاوي وهو يكتب؛ هذا الحضور يجعل من الناتج شيئاً أليق ألف مرة بيحيى الرخاوي وحجمه من حضور مخاطب تابع أو غائب أو صغير أو مستصغر، أو غياب المخاطب أصلاً. تعرفون جيداً علاقتي الأقوى (من بين أغلب أعمالكم) بما نشرتم في مجلة "فصول" مما كان أغلبه المادة الأساسية لكتابكم الأخير "حركية الوجود وتجليات الإبداع". أظن أن عاملاً رئيساً، إن لم يكن "العامل الرئيس" في هذا المستوى من الكتابة الذي أحببت هو حضور هذا المثقف المتحفز في وعيكم أثناء الكتابة، ربما مثله أثناءها أسرة تحرير فصول وكثاها ومن ثم قراؤها المتوقعون، إنما في كل الأحوال جعلكم هذا المثقف (أو ذلك التحف المنهجي المتوقع) تكتبون بما يكشف عن "العملية/المنهج" التي كتبتم بها، ودافعتم بها، وشرحتم بها رؤيتكم، أكثر مما تعجلتم في طرح مضمون الرؤية أو اكتفيتم به. أعتقد أنه كان في صياغتك، بعد وأثناء رؤيتكم، جهداً تواصلياً/بديلاً مكملاً مهماً.

أرجو المعذرة إن كنت قد زوّدتها. عذري أن فكرة "وظيفة العدوان هي الإغارة على الجمود" مع كونها أيضاً حالة تتناوب مع الحالات الأخرى، وربما تتكامل معها على مستوى الشخص ومستوى العمل الإبداعي الناتج، بدت لي فكرة متكاملة، وتكاملها مهم ومطلوب.

د. يحيى:

لا أبدأ، خذ راحتك (على الأقل مقابل العشاء الذي دعوتني إليه في ذهب من أسبوع، إطعم الفم يستحي القلم) أنا معك. والله العظيم معك، وأنا فخور بما اضطرتت إليه آنذاك، لإرضاء هذه الصفوة حتى تسمح لي أن أنشر ما نشرت عندهم، لكن ماذا كانت نتيجة ذلك؟ أنا استفدت أنني عرفت أنني أستطيع أن أتكلم لغتهم، وأن ألتزم بشروطهم، ثم ماذا؟ هذا الكتاب الذي صدر عن المجلس الأعلى للثقافة شخصياً لم يقرأه مبدع ولم

يعلق عليه ناقد (في حدود علمي) ولم يصف إلى الجدل حول حركية الابداع أو منهجه أية إضافة (بلغتني)، وفي نفس الوقت لم يبلغني أنه قد استفاد منه (أو علم به)، أي طبيب (غريب عنا) في ممارسته مهنتي (اللهم إلا بعض تلايذي من أشك في تبعيتهم طبعا) لا تقل لي إنني أكتب للتاريخ، فأنا أكتب لربنا.

أما وقد بلغت الخامسة والسبعين، والأمر كذلك، فعلى أن أقول ما عندي وانتم (ليس أنت) عليكم ما قبل ذلك وما بعد ذلك إذا شئتم وكان يستأهل.

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الإنجليزية (رد العدوان)

لـى طرقة من طرقات أيام المراهقة (أى المراهقة الفكرية في الغالب، وبأى لها من أيام، وبأى لها من طرقات)، تعيدنا إليهما \ "الإنسان والتطور" (أى الطرقات والمراهقة كليهما) وإحيائها المنفرد المعاصر (أى هذه اليوميات) تقول الطرقة: \ "إن كل المنطوقات (أقصد تلك التي ينطقها أى شخص طبيعي، لا يتعمد الكذب) صادقة، إلا الجمل المنفية، حيث هي كاذبة بقدر ما تنفى جملاً أخرى". يعنى حوالى كل الجمل التي ينطقها الناس، أو يكتبونها صادقة. أو بعبارة أخرى: كل الكلام صادق ما عدا الكلام الذي ينفي غيره (وهو غير الكلام الذي يتعارض مع غيره). بالذمة: أليست طرقة؟

تصور حضرتك، قال لى أحد المتخصصين ذات مرة (صديقى طارق النعمان: وحشني، أصله مسافر، ودائما يرسل لك سلاماته بشكل أصدق أنه يعنيه)، في فعدة تجلى، قال لى إن لهذه الطرقة صورة علمية رصينة في اللسانيات البراهماتية . قال لى إنهم يقولون إنه \ "كل الجمل صادقة في عالم ممكن" (\ يمكن كان يقصد في \ "عالم الممكن" وسمعتها أنا خطأ). كل ما ينطق به بشر لا يتعمد الكذب صادق. يعنى إيه الكلام ده؟

حضرتنى هذه الطرقة وأنا أقرأ كل هذه النظريات التي تجتمع وتلتقى لتشرح كل منها الإنسان وصحته مرضه وعلاجه دون أن تشير كل منها إلى اجتماعها وتلاقيها، بل العادة أن تشير كل نظرية إلى قصور الأخريات، ذلك القصور الذي (قال إيه!!) هو ما يبرر صياغتها هي. وذلك دون أن يحاول أحد أن يضع صيغة تقول \ "إنها كلها صادقة، وحتى لو تعارضت فهي تتعارض دون أن تتنافى بالضرورة؛ فالتعارض غير النفي"، ثم يحاول أن يفهم - ويفهمنا - كيف كان ذلك.

إذن فليس يجعل من إحدى تفصيلات أى منها كاذبة إلا أن تكون التفصيطة مبنية على نفي تفصيطة (أو كلية) في نظرية أخرى. يااااه!!!؟

د. يحيى:

تصور يا محمد أن هذا هو ما بلغني من آخرين وأخريات، من حيث المبدأ، ولو لاحظت أنت في بداية تقديم هذه النشرة أنني

أشرت إلى هذا الموقف التكاملي ربما هو الذي يساعدنا على اختراق اختلافاتنا كلها، وليس فقط في المدارس النفسية، بل والفلسفية، والدينية، ربما، نخترقها. تكاملاً، لا تنافساً، أو فخراً وهجاءً، يارب يا شيخ.

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

يعني كل النظريات دي صح؟! صح تماماً؟؟ كلها؟؟ طيب ازاي؟؟

أسهل حل أن يقال لك إنها جميعاً تتكامل، ولكن كلاً منها يركز على زاوية من زوايا طبيعة الإنسان، ومصحته، ومرضه، وعلاجه. وتتعدد الزوايا والمناظر فتتعدد النظريات. حل سليم طبعاً، وصحيح صادق (أليست كل الجملة صادقة!!؟)، ولكنه لا يكشف ما وراء هذه الجملة المطرقة (\ "كل المنطوقات صادقة\ ") مما أريد قوله أو إبرازه:

د. يحيى:

طبعاً تعرف أنني أخشى الميوعة والسماح الرخو، من يضمن لنا عدم الخلط بين حركية التكامل وزخم الجدل وبين التوفيق أو حتى التلفيق؟

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

إذا كانت كل المنطوقات صادقة (حكاية في عالم ممكن، أو في عالم الممكن، ليست -بالنسبة لي- إلا تحصيل حاصل) فما لزوم النطق أصلاً؟؟ لست ضد النطق بالضرورة (كما يسميه النفرى: أصمت لي الصامت منك ينطق الناطق ضرورة)، ولكن عندما تتعدد النظريات بهذا الشكل، وتكون جميعها صادقة؛ فلا بد لمستوى الضرورة أن يتخطاها، أن يتجاوزها، أن يستوعبها، جميعاً، فهل حاولت إحدى النظريات أن تستوعب صدق جميع النظريات الأخرى؟ قلبي مع الطبيب أو المعالج الذي يقرأ كل هذا ولا يعرف كيف يختار (إن كان يريد أن يختار) أو يخترق أو يكامل مستوعباً (إن كان يصر على الأمانة). هل يتم الالتفات لهذا عندما يدزس الأكبر (الذي يعرف كل هذه النظريات) للأصغر (الذي ينتظر من الأكبر أن يدلّه على \ "ال\ " طريق)؟ هل تتم مناقشة مثل هذا حينما تعرض كل هذه النظريات، بعيداً عن الحل السهل التلفيقي إياه؟ الحل الذي لا أتصوره سهلاً، وإن كان الأكثر بدهاءة، هو أن المنطوقات (النظريات) لا تعلقو (أبدأ على ما تنظر عنه، عما تنطق عنه \ "الإنسان (MAN) "،

د. يحيى:

حلوه هذه: "النظرية لا تعلقو أبداً على ما تُنظَر عنه"، طبعاً، الله نُور!

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

هذا يعني -ضمناً- أنها لم تدرك إلا أقل القليل عنه، وأنه (أى الإنسان، أى المريض في مجال اهتمامكم هذا) هو الأول بأن يكون مصدر التعلم، حتى ولو لم يوضع حاله في منطوق صادق (أى غير ضروري).

د. يحيى:

أعمل ماذا؟ دلّوني، ربنا يخليكم: أفتحه ولا أسدّه !!؟

د. محمد يحيى الرخاوي: النظريات النفسية الانجليزية (رد العدوان)

هل تمّ طريق لإبراز هذا الإشكال ونحن ندرس؟ هل ثمة وظيفة لهذا الإبراز لغيري ممن لا يهتم باللغة بشكل خاص؟ لا أعرف. ولكنني أعرف أن الأمين لا بد أن يتساءل عن \معنى النظرية ولزومها\ وهو يقرأ كل هذه الاستبصارات الرائعة. أعلم أيضاً أن منهجكم (الذي حاولتم صياغته في يومية \علم هذا؟ أم ماذا؟\ وفي رأيي لم تنجحوا تماماً) يعلى شأن الممارسة على شأن التنظير، فلماذا كل هذه الكتابة؟ لعلها -تحديداً، وبامتياز-: إجهاض لغرور الكتابة، أى التنظير. ولكنني لا أوافق تماماً، فما زالت هناك كتابة ضرورية ممكنة، ولازمة.

د. يحيى:

هذا هو بعض ما حيرني جداً، ولعل هذا هو بعض ما قصده صديقك كريم شوقي وهو يقول لي "لا تكتب ما ينبغي أن ندركه من الممارسة"، ولعل هذا كذلك هو ما حاولت التحذير منه وأنا أكتب عن لغة الجنس، (يومية لغة الجنس، والجنس كلغة) وبرغم التحذير الصريح جداً فإنني لم أكتب بهذه الرموز الألفاظ إلا اضطراراً، ومازلت أن على من يريد أن يدرك ما أعني، أن ينسى ما كتبت تصنيفاً، برغم ذلك فقد وصلني كلام - بالألفاظ، وهل يوجد غيرها - أنني هكذا أجعل الجنس مغزياً.. هل عندهم حق؟ ماذا أفعل حتى أقنعهم؟ بالممارسة؟ أنا أمزح!! أم ماذا؟

###

د. كريم شوقي: الابداع التواصلي والابداع الخالقي 25-3-

2008

الكلام صعب اوي يا دكتور يحيى... حضرتك بتكتب كلام يتحس ويتعاش و لكن مينفعش يتحط على الورق... أكنك بتوصف حركة السمك في البحر.. اعتقد ان الأسهل إن الناس تشوفها بدل ما تقرا عنها... كل سطر في المقال عاوز صفحة تشرحه.. جدول الفرق بين الابداع الفائق والبديل اكثر من رائع وهارجله كثير بعد كدا... اكرر ثاني ان المعلومات دي تتحس وتتعاش واحيانا قراءتها والكلام فيها يعطل زي ما حضرتك علمتنا...لانه مينفعش آخذ فيلم من على الشاشة بمجردته والوانه وحيويته واحطه على ورق بشكل جامد

د. يحيى:

يعنى يا كريم، وربنا "ينتعلك" فى الامتحان بالسلامة، ماذا أفعل؟ أكتب أم اقول من "ذاق عرف"؟

أحترم ما وصلك وأحيلك إلى "محمد ابني" عليه!! (واللى جى أكثر)

د. كريم شوقى:

باكرر انه بيعجبني في مدرستك قدرتك علي انك تعترف وتحترم وتشتغل في اللي موجود بجد, مش اللي المفروض يحصل حسب العرف والتقاليد والأديان..حضرتك بتحترم عجز الإنسان وضعفه وغباوته ودا ممتاز...التسامي والاعلاء والكلام دا لوحده مش حيمنع نشوب حرب عالمية ثالثة... بالمناسبة: يا تري حضرتك تصنف إبداعك ازاى...خالقي ولا تواصلني ولا مزيج بين هذا وذاك؟؟؟؟؟؟؟؟ شكرا لك

د. يحيى:

يا كريم الله يجليك، الإبداع لا يصنف لا إلى خالقي ولا إلى تواصلني، يبدو أننى أخطأت خطأ جسيماً، الآن اتضح لى اعتراض محمد وآخرين أكثر فأكثر، المسألة أنه كل إبداع فيه هذا وذاك بدرجات متفاوتة ومتداخلة، ثم هل أنت تعرف شيئاً كافياً عن إبداعى حتى تسألنى هذا السؤال؟

تصور يا كريم أننى لا أعتبر إنتاجى إبداعاً إلا إذا فاجأنى، هو الذى يفاجئنى رغماً عني، فكيف مع ذلك أجرو أن أسميه حتى إبداعاً ناهيك عن تصنيفه تواصلني أو خالقي،!! يا شيخ صنفته أنت كما تشاء أو أقول لك، لا داعى لأى من ذلك اللى يجليك حتى لاتعمل فى مثلما عملتُ أنا فى غيرى، يارب يساعونى .

###

د. أسامة عرفة: الابداع التواصلى والابداع الخالقى

الفكرة مدهشة: الابداع النابع من العدوان و الابداع النابع من الجنس ما وصلني منها ليس العدوان مقابل الجنس بل تأجج الحركة مقابل الروقان و التريحة ..عودة للمقالة الأولى :

في تعليقي عن المقالة الأولى أحتت إلى محور البقاء في علاقته بالعدوان (البقاء منفردا في العدوان ومعية البقاء في الجنس و نوعية البقاء في الابداع) أريد اليوم أن أضيف ملمحاً رابعاً في اتجاه نكوصي أقصد العدوان على الذات أي الانتحار و كأنى أرى تجليات العدوان في هذه الرباعية : الانتحار- القتل- الجنس - الابداع، فأجد نفسي أمام طيف قطبيه الانتحار و الابداع وأتساءل ما الذي يحمي المبدع في حركته بين هذين القطبين ما الذي يحميه من الانتحار ..ربما الابداع التواصلي صمام أمان أو دفاع يغنى عن تأجج حركة المبدع ألا يروح في سكة "اللى يروح ما يرجعش" ربنا يستر. لك كل الشكر يا مولانا

د. يحيى:

ليس هكذا تماما يا أسامة، مع احترامي لإنارتك، ويمكن أن تراجع نقد محمد للفكرة الأساسية، أو لما أوحى به ظاهر التصنيف، وبعض ردى عليه .

التواصل يا أسامة ليس "روقانا ولا ترجمه" لعل الأمثلة التقريبية التي عرضتها في هذا المقال خدعتك، وهذا ما نبهني محمد إليه، فتراجعت.

أما رباعية تجليات الابداع فليس عندي اعتراض عليها إلا فيما يتعلق بالجنس، من حيث المبدأ أفكارك تدفعنا أكثر إلى النظر في كيفية استيعاب العدوان مادام الاحتمالان الآخران هما القتل والانتحار

أما أن يكون الجنس هو أحد تجليات العدوان فكلا وألف مرة كلا، إلا إن كنت تقصد جنساً تدميراً شاذاً،

الجنس له دوره الابداعي المستقل الرائع، وهو حين يتكامل مع العدوان الابداعي، يصبحان بعثاً آخر جداً يا أخی.

د. أسامة عرفة: العدوان والإبداع

هذا العمل من باب القول الثقيل الذي سيحتاج أن يقرأ مرارا ما بين العدوان و الجنس : أليست غريزة الجنس هي تطور أرقى يستوعب غريزة العدوان في ولاف أعلى

د. يحيى:

لا..لا... عندك ! لا طبعاً،

قد تكون الغريزة الجنسية على مسار تطور الأحياء لاحقة للعدوان، لكنها لاتستوعبه هكذا بهذه المباشرة، كيف يا أخی تكون كذلك؟

د. أسامة عرفة: العدوان والإبداع

هي (غريزة الجنس) كالعدوان حركة في اتجاه الآخر وتحتوي اختراق والتهام وتحقق غائبة العدوان في البقاء، بل في الامتداد، وهي تهذب آليته من القتل إلى التكاثر فيصبح الجنس هو ولاف أعلى للعدوان وأكثر ابداعاً إذ يجدد معية البقاء في مقابل فرديته ويأتي الإبداع فيه ايضاً في اتجاه غائبة العدوان ولكن في ولاف أرقى لا يجدد فقط البقاء بل نوعية البقاء، عذراً على التعجل في المداخلة

د. يحيى:

الآن أتصالح معك قليلاً، حين تقول يأتي الإبداع في اتجاه غائبة العدوان ..الخ، لكن أرجو أن تراجع الفقرة الأولى، وربما المقالات الأخرى (النشرات المتتالية) وأيضا الحوارات اليوم، وسوف نلتقى بأن يكون بيننا ما هو أفضل مما بدأ كل منا به .

ياه يا أسامة، الحكاية اتسعت، الظاهر.

###

د. أميمة رفعت: العدوان والإبداع

هذا الفرض يثير الفكر ويجعله كالأمواج المتتالية حيناً، والمتلاطمة أحياناً أخرى، وأنا أحب (بشدة) أن أجد فكري في هذه الحالة. والجميل في الأمر أن ينتج عن هذا التلاطم تساؤلات لا تكاد تولد حتى تجد إجابة لها في السطر التالي أو في الفكرة التالية، لينتج عنها هي الأخرى تساؤلات جديدة... أكاد لا أستطيع الانتظار حتى يوم الأحد. شكراً لك يا سيدى.

د. يحيى:

أرجو يا أميمة أن تكوني قد نتبعت هذه المسألة ليس فقط يوم الأحد، ولكن أيضاً فيما أثارته من حوارات أنا شخصياً استفدت منها، وأشكر الجميع عليها، أما حكاية "يثير الفكر والأمواج المتلاطمة" فلعل هذا ما أعنيه بتحريك الوعي وهو الهدف من هذه النشرة، وهو كان الهدف من مجلة (الإنسان والتطور) ويبدو أنه الهدف من الإبداع عموماً، ثم لعله مبرر وجودى شخصياً،

على الله!

د. أميمة رفعت: العدوان والإبداع

أولاً: العدوان والإبداع:

هل الطاقة المصاحبة لغريزة ماء لها سمات هذه الغريزة بحيث في النهاية تعدد الطاقات وتختلف باختلاف الغرائز، أم ان الطاقة ما هي إلا الوقود اللازم للغريزة لدفعها للأداء بكفاءة فقط لا غير؟

يحيى:

بصراحة أنا لم أعد أتعامل مع الغرائز باعتبارها طاقة تدفع شيئاً غيرها، ولهذا أتخفظ على استعمال كلمة "الوقود" هنا، وأظن أنني أظهرت ذلك في إحدى النشرات السابقة أو الحوارات السابقة، ربما في ذلك ردى على محمد وهو ينبهنى إلى حكاية انفصال الطاقة عن غايتها.. الخ

د. أميمة رفعت: العدوان والإبداع

إذا كانت هذه الطاقة بإمكانها الانتقال من غريزة لأخرى أو من شعور لآخر فهل تتغير طبيعتها (كما أو كيفاً) حسب الغريزة الجديدة المصاحبة لها؟ وإذا كان لها طبيعة خاصة فهل تغير أو تعدل من طبيعة الغريزة الأخرى التي تنتقل إليها؟

هل إنتقال الغريزة من البدائية إلى الإبداع إلى الولاة الأعلى يحتاج إلى تزايد في الطاقة أكثر فاكثراً؟

د. يحيى:

مرة أخرى أذكرك برأي أنها برامج منطبعة قابلة للتوليف والتطور إلى أعلى فأعلى، وليست طاقة دافعة أو وقوداً فقط، وكل برنامج يحتاج إلى اطلاق ومُطلق Releaser وليس بالضرورة طاقة منفصلة تدفع غيرها، لكنني احيلك أيضا إلى ما يؤيد كلامك، أعني توجه كلامك، برغم أنني تجاوزته بعد أن استشهدت به، وهو بعض أعمال لوزنز، وتبنيجن عن "الطاقة الخاصة الفعالة" Acton Specific Energy الفعالة، و"إزاحة النشاط" Displacement of Activity وقد تناولته بإيجاز في أصل الأطروحة (الانسان والتطور ابريل سنة 1980) على ما أذكر.

د. أميمة رفعت: المواجهة المواكبة المسئولة

برغم من أنه يبدو غريبا أن نعتبر "حوار الصم أو الطرشان" التي ذكرها الدكتور يحيى الرخاوي في مقالته (العلاج النفسي- المواجهة ، المواكبة، المسئولية) وسيلة تواصل مع المريض في العلاج النفسي، إلا أنني أوافق تماما على كل كلمة جاءت في المقال. وموافقتي ليست نابعة فقط من اقتناع منطقي، بل أيضا من ممارسة عملية إكلينيكية:

" لدى مريضة (50سنة) تحضر جلسات العلاج الجمعي منذ ثلاثة أشهر، وينطبق عليها تماما صفة حوار الصم، فمهما كان السؤال أو الحديث المدار لا ترد إلا بقصة صغيرة تخصها، أو تخص بها أشخاص بعينهم و تستخدم كلمات بعينها في التعبير، وبنبرة صوت لا تتغير لتنتهي ببكاء قصير أشبه بالنهضة..."

شهران كاملان لم تخرج فيه المريضة عن هذا السيناريو و كأنها لا ترى أحدا و لا تسمع أحدا ولا تشعر بشيء آخر. و مع ذلك استمررت في "الحوار" معها بصبر، و قد هذا حذوي الآخرون. وذات يوم كانت تطرح مريضة أخرى مشكلة ما و إذا مريضتي الأولى ترد عليها، بل و تبدي رأيا أيضا. و يبدو أنها سعدت بالتغير الذي طرأ فظلت تردد هذا الرأي بجماسة غريبة عليها. ما زالت المريضة تذكر قصتها الأولى، و لكن بالتبادل مع قصتها الثانية، في إطار حوار الصم أيضا.

أعتبر ما حدث لها هو تغير كبير، فبعد أن كانت ثابتة متجمدة عند النقطة (أ) تحركت إلى النقطة (ب) وهي تتحرك الآن بين النقطتين. بل و خرجت قليلا خارج ذاتها لترى الآخر. لم يحدث هذا التغيير محتوى الحوار، بل مجرد وجود حوار. أحدثه الدفء الذي شعرت به خلال الجلسات، أحدثه الأمان الذي وصل إليها عبر قبول الآخرين لها. بل و أحدثه استمرار وجود حوار ما مع شخص ما و التعود عليه. ما زلت أحلم بتغير و تقدم آخر معها، والانتقال من مرحلة حوار الصم إلى حوار من نوع آخر ...

د. يحيى:

أعدك يا د. أميمة أن أعود لتناول هذا الموضوع بالذات قريبا حيث عندي حالة تكلمت بعد سنة إلا شهرا في مجموعة

علاجية قديمة (منذ أربع سنوات)، ثم ما هي معي الآن (2008) حيث دخلت مجموعة جديدة بعد مرور سنوات من الخبرة القديمة، وهو شاب بلغ العشرين الآن ويواصل حضور المجموعة منذ ستة أشهر، وهو لا يتكلم أثناء المجموعة ولا حرفاً واحداً وبالذات وأنا موجود، لكنه يتكلم خارج المجموعة مع زملائه وزملائي الأصغر، وحالته شديدة الدلالة والإيجابية أعتقد أنها تحتاج لشرح تطوراتها كتاباً بأكمله.

نقطة أخرى شديدة الأهمية لابد من الإشارة إليها:

"حوار الصم" يا د. أميمة لس مرادفاً أبداً للصمت

الصمت كلامٌ أعمق وأقوى من حوار كثير من حسنى السمع،
طلقى اللسان

حوار الصم هو كلام لا يؤدي وظيفة الكلام أما الصمت فهو
كلام دون كلام!!

أنا أقرأ الآن رواية "فوضى الخواص" لأحلام مستغانمي، وهي
رواية جيدة، لعلها تفوق ذاكرة الجسد، (لست متأكداً)

وقد عدت فيها أكثر من عشرين نوعاً من الصمت (الكلام
الرائع)

وقد أعود إلى كل ذلك في عمل نقدي مستقل.

###

أ. يوسف عزب: العدوان والإبداع

ما يصلني من هذا العلم وما يجعله مفهوماً عن أي كتاب
علمي، هو أنه يقوم بتناول الإنسان كاملاً وليس مجزأً، ولذلك
تكون اللغة نفسها مفهومة، والعلم هنا ليس أقرب إلى الفن
فقط بل إنه من سهولة لغته ووضوحها وارتباطها باللحم الحي
للبي آدميين تبدو وكأنها مقال اجتماعي

د. يحيى:

هذا طيب ومطمئن يا يوسف، لي الآن بالذات، وخاصة وأنا لا
ألقى إلا الاحتجاج على للصعوبة والغموض في كل ما أكتب، ترى
ما رأيهم؟

أ. يوسف عزب: حلم 41

"الصبر هو ما ينقصه": وصلني هنا ان الشقة هي المأوي وهي
البر بالنسبة للبحر هو في حيرة الي اي بر سيرسي عليه ولم يعد
البر او المأوي القديم يسعه وعليه الخروج منه لاي سبب ولم يجد
بعد مأوي جديد واحتمالات أن يحصل على مأوي جديد هي
باسعار لا يستطيع دفع ثمنها (الاثمان التي دفعها زميلاته) قد
يبدوا لامل في البر والمأوي القديم الذي جاء منه ولكنه اكتشف
انه لم يصبح قديماً كما كان يتوقع

د. مجيى:

لك ما قلت يا يوسف، لكننى مازلت عند رأيي، وما زال هذا الحلم بالنسبة لي فاتراً نسيباً،

شكراً، ودعنا نختلف لصالح النص.

أ. يوسف عزب: العدوان والإبداع

لدي تساؤل بسيط: هل إنكار الغريزة في الإنسان يعد إنكاراً لفكرة التطور كاملة؟، أم إن مدعى ذلك من العلماء يقرونها من حيث المبدأ ويقولون ذلك محاولة من الفكك من أسرها...؟

د. مجيى:

أظن أن تعبيرى في البداية كان: "ينكرونها أو يتنكرون لها" وكنت أشير إلى غريزة العدوان أكثر، فلا أحد يستطيع أو يجرؤ أن ينكر غريزة الجنس قد أعطيت كل هذه المساحة بشكل مباشر ثم بشكل غير مباشر في الزواج وغيره ثم في إعلانها تحت اسم التسامى، أكرر رأي أن إنكار الغرائز - من حيث المبدأ - يؤدي إلى مسار منحرف للطبيعة البشرية، والتسامى عنها يؤدي إلى مسار وديع متحضر، لكنه يوقف حركية استيعابها في كل أرقى بها فعلاً (يمكنك مراجعة كل ذلك في كل ذلك) .

أ. يوسف عزب: العدوان والإبداع

ذكرتم سيادتكم في وظائف العدوان إن العدوان يعتبر جزءاً متضمناً في كل الوسائل المسئولة عن الحياة بل وعن تطورها كذلك، وكيف أصبحت، مسلمة بديهية.

د. مجيى:

لا أظن أنني أعنى مسلمة بديهية تحديداً، وأرى أنني أحتاج مساحة كبيرة لتقديم تفاصيل ما أعنى، وأعدك أن أنتهز الفرصة المناسبة لشرح ذلك في حينه، لعل الأمور تتضح لي أكثر،

###

أ. رامى عادل: حوار بريد الجمعة

بالنسبة لكلامكم عن الخوف من تجاوز حدود النمو / الوجود الحاليه، وعلاقته بالإيمان التخليقى المتماذي وارتباطه باقتحام الكون للذات .. ليس من الخطر أن تتشابه الحيوات هكذا، فنسبح بالسرمديات ونكتفى بالفعل الهامد دونما انتفاضات فكر كونييه .

د. مجيى:

بصراحة يا رامى أنا لست أدرى من أين أتيت بهذا الحدس الذى سوف أعود إليه تفصيلاً في كتابي عن الغرائز، وبالذات عن غريزة أهميتها الايقاعية التوازنية الممتدة،

أفسر بها مثل هذا النزوع إلى ما سميته أنت "انتفاضات فكر
كونية" أنا أخاف يا رامى حتى الآن من فتح هذا الملف في
الوقت الحاضر، وأدعو الله تعالى أن يلهمنا اللغة المناسبة في
الطريق إليه .

أ. رامى عادل: مدارس ومدارس

من خلال قراءتي العابره اليوم انت محسني انك
اطلعتنا علي سر مهنة الطب النفسي. وانه مش من
حقك لوحك تنشر الكلام ده وان الاطباء
النفسيين هيتنرفزوا ان منهجهم اتكشف وانهم اتشردوا
في الموقع بتاعك. وان سيرة الطب النفسي بقت علي
كل لسان. وان الدكتوراه عايزينك حيا او... سلام
يا عم .

د. مجيى:

يا رجل، ولا يهملك. شكرا

وبعد

انتهى الحوار قبل أن ينهى .

ويبدو أنه لا بد أن يكون له امتداد في أحد أيام الأسبوع
القادم وليست بالضرورة غداً،

لست أدري !!

السبت 29-03-2008

211-فرسان العصور

"مسرحية قصيرة قديمة" 1980 (تصلح الآن)

بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربية

دمشق 30/29 مارس 2008

(ترتفع ستارة خوف الناس من الشمس الوجلة)

[قد أعطى كل فريق للأخر ظهره .

وانشغل الفارس في أحد الجنين بملء الزمرك اللامع .

وانهمك الآخر في وضع حجارة بطارية

تُملاً تلقائياً]

(يُنْفَخ في الصور)

[يتقدم أحد الفرسان من الجيش الأول للخلف

يمسك بشماله

مقود فرس لُعبه

ويلوح بيمينه

بذراع الزمرك المخلوع:]

أنا فارس عصر الأزرار

الأقنعة الأسرار

قمرى أخذود ظلام من صلب منصهر بارد

ليلاى من الألياف الممطوطه

والزرع قمامه

حوتى يفتح فاه

ألقمه البشر، بقايا القمح، الكلمات

أنا فارسُ كل الأزماتُ

-2-

[يأتى دور الفارس من جيش الأعدادُ

فيكور كلماتٍ مصقولة

يطلقها ذاهلةً مذهولةً]

أنا سيد كل الأجواءُ

أرسم قدر الناس بمطواة

وأحول سير الأيام

بالطلقة والألغامُ

أحتجز امرأةً خرساء جنينا في الشهر التاسع

أجعلها تتكلم

أنتزع النصر من الطفل الأعزلُ

-3-

[يقفز من الجيش الآخر شخص يدعى المغوار الفهامه]

أنا فارس عصرى الحرُّ

أفهمها وهى تمرُّ

[يأخذه الزهو فينطلق يعيد]

أنا فارس عصرى الحر الثائرُ

أفهمها وهى تمر بسر الخاطرُ

أنظم بيتا مكسورا تسكنه الأشباحُ

أعشق بدني

أفترش امرأتى "ذاتي"

ألتهم اللذة أتقايأُ

أبدأ شيقاً أبدا

أتصدى

أقهر غانية الخائنةُ

تضحك مني إهلاسا

فأضعف كأسي

أنا سيد نفسي

-4-

[يأتيه الرد من الرجل الرادار ربيب المدفع والخاتم]
 أنا فارس خطى الساخن
 وأعدوا . .
 القرش أمان الثورة
 والكذب غطاء العورة
 والمرأه حاملة الراية
 تغنج بشعارات الساعة
 فأشاركها

-5-

[يقفز من يلقيه قولا أمضى]
 أنا فارس ليلى المقدام
 ألعب في ساحة حلمي
 أتمنطق بالأيام
 أعرف نفسي أبحث أجدد
 أمتز على عجز أريكه
 أتداعى "حرا"
 ففروسية هذا العصر
 هي جذق ألعيب القصر

-6-

[يجر من غصص الرأس بعلم القرصان
 ليؤذن في الناس بقول فصل في خلق الفرسان]
 أنا فارس غدنا الثائر
 أتجاوز
 أكسبها دون قتال
 أعدو فرحا معصوب العينين
 نحو الهاوية المتساوي فيها كل الناس
 من يملك زرا أو يحمل مطواه
 من يكتب شعرا، يقتل طفلا، يهتك عرضا

أو يستغرق في الإغماء النشوانُ
فالكل يمارس دورة
في التعجيل بإنهاء المعركة العوره
قبل بدايتها
[تنسدل ستارة وعى الناس على أفق الرؤية]

(2008)

بيان ختامى:

من بعد الإجماع العادى،

غير العادى

قرر كل الفرسان بأن الشئ لزوم الشئ تمأدى

حتى بات الأمر كما لو كان الأمر كذلك.

ولذلك

فليبقَ الأمر كذلك.

212- الإشراف على العلاج النفسي

ترويض المخ البدائي في المريض وأهله

مقدمة:

جاءت أغلب الردود على تساؤلي حول طريقة عرض هذه الحالات تفضل عرض الحالة دون تقطيعها بالتعليق داخلها، بل وربما دون تعقيب نهائي (الأمر الذي لجأت إليه هذه المرة)

بناء على ذلك: هذه هي الحالة، مع انتظار تعقيباتكم، واقتراحاتكم، فاحتمالات التحويل والتعديل والمراجعة قائم دائماً، حسب الطلب والفائدة!!

د. فتحي عبده: ... الحالة التي أنا عايز أتكلم فيها: هو ولد عنده 21 سنة كان دخل المستشفى، وقعد حوالي 6 أسابيع، وخرج، وهو بقاله معايا دلوقتي بقاله معايا سنتين وكان بييجي بانتظام، وهو في كلية "... (قمة) ، وكان عنده تعسر في الكلية

د. يحيى: وبعدين؟

د. فتحي عبده: ... هو اتعسر 3 سنين في الكلية، كان في سنة أولى ودلوقتي في سنة تانية هو ماشى كويس أوى بييجي من محافظة بعيدة شوية عن مصر، أبوه مصري ناجح مؤهل عالي، بيشتغل في بلد عربي، وأمّه مدرسة وقاعدة له دلوقتي تقريباً بقالها سنتين برضه، مش عابزة تروح شغلها تاني يعني هي مدرسة وقاعدة شوية جنبه، مش عارف ليه زى ما يكون هي مبسوطه كده.

د. يحيى: له كام أخ وكام أخت؟

د. فتحي عبده: هو الكبير، له أخت واحدة أصغر منه في كلية هنا.

د. يحيى: أبوه مسافر بقاله أد إيه

د. فتحي عبده: بقاله كتير، بقاله أكثر من 10 سنين وزى

ما تكون الأم عاملة اتفاق كده مع ابوه على حاجة بين الطرفين، كله راضى.

د. يحيى: مش فاهم، علاقتهم أخبارها إيه؟

د. فتحى عبده: هما بينكروا إن فيه أى مشاكل، بس أنا أعتقد إنهم بيسكتوا وخلص، لما باضغط على أبوه فى المرات اللى شفته فيها يعنى مابيتكلمش كثير فى الحته دى، بيقول ماشية..، لأه ما فيش، الدنيا مافيهاش حاجة، والدنيا ماشية أه، واهو الولد ماشى

د. يحيى: السؤال؟

د. فتحى عبده: حسيت من مدة مش كبيرة ومش قليلة إن العلاقة بين الولد وأمه فيها حاجة

د. يحيى: حاجة إيه؟

د. فتحى عبده: حاجة أوديبية، يعنى بين الأم والولد يعنى

د. يحيى: ليه بتسميها أوديبية كده خبط لزق، هوه إسم شائع وكويس وله دلالتة، بس خلى بالك إحنا اتكلمنا فى الموضوع ده كثير، وقلنا إن التطور والتاريخ بيقولوا لنا إن الحاجات دى موجودة قبل أوديب وقبل سوفوكل وقبل فرويد، وأنا كتبت فى الحكاية دى كثير، وقلتها ليكم، وقدمت عدة تفسيرات ونقد لتسمية العلاقات دى بالاسم ده تحديداً، فيه علاقة؟! ماشية..، نوصفها قبل ما نسميها على الأقل، يعنى هى ليست بالضرورة أوديبية، وبعدين إنت فاكر إنى قلت كام مرة إن أنا شفتها بتبدأ أكثر من ناحية الأم، مش زى ما فرويد ما قال، الأم هيا إالى بتنادى، بتطلب، لا شعورياً غالباً، وساعات تصل لدرجة الشعور، بشكل غامض.

د. فتحى عبده: تمام!! الحقيقة الحته دى هى اللى باسأل عنها

د. يحيى: إيه بقى! الحكاية بدأت من ناحية الأم برضه؟

د. فتحى عبده: آه من ناحية الأم، هى بادة من الأم، واضحه جداً

د. يحيى: إنت متأكد؟

د. فتحى عبده: آه، دى واضحه لدرجة إن الأم يعنى بتتكلم عليها والولد بيتكلم عليها بشكل واضح يعنى مابينكروش

د. يحيى: يعنى إيه، بيقولوا إيه؟

د. فتحى عبده: يعنى مثلاً هى تيجى تعمل ازاي...، أولاً هوا ما فيش علاقة جنسية بينها وبين جوزها

د. يحيى: نعم؟ إنت متأكد؟

د. فتحى عبده: التسوية اللى وصلت لها مع جوزها إن خلاص ما فيش حاجة، والظاهر إنها واخده الولد بديل

عندها 56 ، حكمت لي بجعل شديد وطيبة إنها بعد ابنها ما عمل كده، وكررت أنه ما عملشى حاجة ثانية من دى بعد أول مرة، ومع أخذ الجلسات، آمال إيه يا ستي؟ قالت وهى بتبص في الأرض زى بنت عندها ثلاثاشر سنة، قالت لي إنها بعد الحكاية دى، لما نامت مع جوزها عادى، جوزها أبو الواد ده، حسنت بانبساط جامد وجسمها كله انهز، حاجة عمرها ما حسنت بيها طول الكام وتلاتين سنة اللى خلفت فيهم العيال دول كلهم، وقالت لي وهى مكسوفة وخائفة بصحيح إنها اتخضت، وافتكرت ان ده حرام، وخافت تنام مع جوزها تانى، وفضلت إنها تيجي تسألني تعمل إيه ؟

طبعاً أنا كنت صغير، بقيت مش عارف هي بتسأل تعمل إيه في إيه، يا ستي دا جوزك، مبروك، دا شرع الله، وهى أبدأ، إمال ما حصلشى قبل كده ليه؟ وتستغفر وتعيط، وما ريبطشى نهائى بين هجوم ابنها عليها وبين إالى حصل، الحمد لله الواد اتحسن، وقلتها الكلمتين إالى كنت عارفهم مرة واتنين، ودعت لي ومشيت، طبعاً ما سألتهاش بعد كده عملت إيه، وهى ما فتحتش الموضوع، لكن لما كنت باشوفها كنت بالاقى الطيبة زادت، ووشها منور، وأيامها ما رضيتشى أزود حتى لنفسى في التفسيرات.

الحكاية دى يا دكتور فتجى بقالها أكثر من نص قرن، طبعاً بعد كده لما اشتغلت في المسألة الجنسية، وأوديب ومش أوديب انتبعت لمعنى دا كله، ولاحظت كتر الحالات إالى الأم فيها بتشارك في الجذب المتبادل، - لا شعوريا غالباً، أو قول دائماً عشان ما حدش يتخض

أنا شخصياً ما شفتش الحالات دى بالوضوح ده اللى مع الذهانين (المرضى العقليين)، وده خلان أزيد احتراماً لفرويد بصراحة- أنا برغم اختلافي في تفاصيل كتيرة معاه في المسألة دى (وغيرها) إلا إني أعترف إني ما شفتش الظاهرة دى بتاع الحارم والأم بالذات إلا في الذهانين (المرضى العقليين) يعنى صريحة بالشكل ده، فرويد ما كانشى بيعالج (بيحلل) - ذهانيين، ومع ذلك وصفها زى ما باشوفها في المرضى العقليين تمام.

نرجع مرجوعنا للحالة بتاعتنا دى، قلنا إزاي إن التشخيص ينط في محك لما محتاجه، الجدع ده كان فصامى، يعنى إحنا جوه قوى، يبقى نحسبها صح بقى، المسألة مش مسألة قلة أدب، وعقد وكلام من ده، الست بتاعة القصر العيني من خمسين سنة بتعلمنا إن المستوى البدائى إالى بينط في الفصام قدر يحرك فيها إالى ما قدرشى يحركه الجنس اللى جاب خمس ست عيال من أبو الواد، غير الواجبات المنزلية السريرية عمال على بطل، يبقى المستوى البدائى اللى بيطلع في المرض الخطير اللى زى ده، له وظيفة لو استوعبناه، يبقى ما يصحش نبص للحالة دى منفصلة لا عن التشخيص، ولا عن علاقة الست بجوزها المسافر، وحتى لما بتسافر له زى ما انت قلت أو شاورت، الحته البدائية اللى أنا بشاور عليها اللى هي بتتير النسوان وتثير الرجالة ولها قيمة حيوية حقيقية، ما يصحش نرفضها من

حيث المبدأ، لكن إحنا ما بنقفشى عندها ، خلى بالك، ولا بنسقف لها لوحدها، إنت هنا بتعامل واحد فصامى، مهما كانت الأعراض الكبيرة بتاعة المرض اختفت، هو - فى الأغلب بدون قصد فى الأول - أثار فى أمه حته بدائية قصاد الحته البدائية إلىى انحركت عنده بالمرض، مش معنى كده إن الفصام بيحرك الجنس بدائى أو غير بدائى، هوا بيحرك الدائى ومن ضمنه الجنس ساعات، وساعات بيموته، يبلغيه حسب مرحلة البدائية، كل حاجة ولها حاجة، إحنا بنحاول نخط فرض يساعدك فى الزنقة دى.

وانت بتفكر فى الفرض ده، حاتلاقي نفسك فى منطقة عايزة منك موقف مسئول ونفّس طويل زى ما أنت بتعمل كده،

الغريب فى الحالة دى إن الأم هى اللى بتصدر الموضوع أثناء العلاج، وتكلم عنه وتحليه على الوش، بتبقى انت مش عارف هى بتشتكى، ولا بتاخذ منك إذن خفى، ولا بتحاول توهم نفسهاإنها بتعمل اللى عليها، واهو الواد عيان بقى؟ إنت يا دكتور فتخى لازم تستحمل ده كله من غير ما تستعجل وتدمغها، وفى نفس الوقت تاخذ بالك من التعود، والتمادى ، وأخته ، وكلام من ده. إلىى انا تصورته إنها ما بتصدرش الموضوع عشان يتحل، كأنها بتحكى وتقول وتعيد علشان يمكن الإعلان يديله مشروعية غير أخلاقية ، كلمة غريبة شوية دى اللى انا استعملتها دلوقتى، هو فيه حاجة إسما مشروعية غير أخلاقية؟ ما علينا ن فكر فيها بعدين، يمكن قصدى إن إعلان العلاقة، وتكرار ذلك، لمعالج متحمل زيك، بتديها فرصة إنها ما تظهريش لنفسها أساسا كأنها متهمة، وبالشكل ده تفضل ماسكة خيوط الحدوده كلها مادام هى أعلنتها لك، ويمكن تظمن إنك أنت حتدور عليه أصل وفصله بقى بطريقتك، فبالتالى هى تخليك إنت تشتغل فى الجزء المتاح فقط اللى هى سمحت بيه وكلام من ده. خلى بالك بعد الحكاية ما بتبتدى، من الواد، من امه مش مهم، بتستمر لوحدها من الاتنين بقى، ولا احنا محتاجين نتمسج فى عقدة أوديب ولا عقدة خصاء ولا كلام من ده، دا مستوى بدائى بيلاغى مستوى بدائى، وربنا يستر، خلى بالك مجرد قبولك ده وانت فى مرحلة تدريبك دى، صعب جدا، أنا مثلا قبلت الست بتاع القصر العينى من خمسين سنة، لأنه هى نفسها عملت شغل بسيط وسريع، وما كانش فيه أى مشكلة بعد ما الواد أحسن، والست ما اشتكتشى من الواد، دا هى كانت مكسوفة من نفسها إنها انبسطت، مع جوزها حلال.

المسألة هنا زى ما انت شايف، الفروق بين الحالات، وبين نوع العلاقة، وبين المستوى الاجتماعى: طبقة غير الطبقة وظروف غير الظروف، الراجل أبو الواد بتاكد ده خالع بقى وبتاع ، غير إنه مسافر، والست مش حاقول مستسهلة، إنما بتتسحب وهى مش واخدة بالها، والواد عيان، أو حتى كان عيان بمرض من اللى بيقلب اللى جوانا قوى، بصراحة الله يكون فى عونك، طبعا ما تنساش دور الدوا هنا مهم جدا، لأنه بيهمد الحته البدائية بانتقاء رائع، طيب دا عند الواد، والست نعملها إيه؟

لا الله يكون في عونك وباشكرك على صبرك وانتباهك بصحيح.

د. فتحي عبده: لما باخش فيها جامد يعني بتوقف الحاجات شوية، لكن لأه، أنا عايز أستريح شوية

د. يحيى: تستريح من إيه، هوا اختيار بإيدنا، دى مسئولية، أنا قلت لك هى حاله شديدة الصعوبة، الحالة صعبة يابنى وعاوزه وقت وشغل مع نفسك علشان تستحمل وتحذر من أى تمادى! وتعرضها تانى وتالت كل ما تلاقى فيه داعى.

د. فتحي عبده: يعنى دلوقتى أعمل إيه ؟

د. يحيى: قلنا نبتدى بالدوا، تعدل الجرعة شويتين وتنشنى على المخ البدائى

د. فتحي عبده: وبعدين

د. يحيى: وبعدين بتشتغل في الموضوع خفيف خفيف، لكن أكثر في مناطق بعيدة عن الموضوع ده، لكن بتحل محله، يعنى الست دى لولقيت احتياجها الإنسانى إنها تتشاف، اعتراف بجرمانها من غير لغوصة، وفي نفس الوقت إحنا همدنا الجزء البدائى عند الواد بالدوا، يمكن نقرر نقطع الحلقة المهبية دى. وساعتها لما تقول لهم يعنى ماينامش معاها في السرير يبقى الكلام حاجة تانية، مش مجرد قهر مش حايتمنفذ، وتقعد تتبع وتشوف نفع ولا ما نفعشى، وتستمر عجلة المذاكرة والكلية واللعب شغالة، خصوصا اللعب الجماعى يا شيخ، تراكم الرسائل الإيجابية بالشكل ده بيدك فرصة تحقق التغيير مش بمجرد الحكم بالعيب والحرام، لأ تغيير بحق وحقيق، يجوز تروح تلاقى هُبّ الوضع اتغير والمجتمع إالى جواها وجواه ابتدا يشتغل صح،

وبعدين خلى بالك إنت عملت عمل مهم جدا، إنك قدرت تحافظ على علاقة طيبة، لها نتائج واضحة مع واحد فصامى في ظروف مهبية لمدة سنتين، هوا دا شوية يا شيخ، أديك ماشى، بس لازم تهتم بالتفاصيل كلها، مش بس المذاكرة والكلية، ما فيش شىء على حساب شىء، ومن حقك إذا ما التزموش بتعليماتك حدة بحتة إنك تهتم بعد ما حققت دا كله، يعنى: ياتسمعوا كلامى في جزئية صغيرة زى السرير، زى الغرفة، زى التحسيس، يا مش حايمنفع أكمل، وكل شوية تزود جزئية يبقى في فرق بين موقفك الأخلاقى وموقفك العلاجى، إنت مش بتزود جزئية علشان ده عيب، بتزود جزئية علشان البُنا اللى إنت بتبنيه معاه من أول وجديد يطلع دور بدور، ويستحمل

د. فتحي عبده: طيب وهى، أمه يعنى ؟

د. يحيى: لا ما يهكمشى، إن شاء الله خير، هى لما حتلاقى منك موقف صلب، وفي نفس الوقت خالى من الحكم الفوقى عليها، خاتنتيه وتحترم إالى بيوصلها منك، وتحترم نفسها حتى مع الحرمان، ماهو إذا كان ليك أى قيمة حضورية في وعى مثل هذه السيدات الفاضلات المحتاجات بدور رائع وطيب، هيا يعنى محتاجة جنس قوى قوى كده لدرجة اللخبطة دى، ولا يعنى الحكاية دى بترضيها

جنسيا؟ العلاقة العلاجية لما تكون طيبة ومحيطة وهادئة دافئة وقوية وواضحة، بتقوم بأدوار كثير إحنا ما نعرفهاش، وما فيش داعى ننظر كثير، المهم النتائج أول بأول.

بأمانة حقيقية أنا أرجح إن الست دى، دلوقتى على الأقل، وابنها عيان ودخل المستشفى وكلام من ده، ماهاياش محتاجة جنس أوى النهارده، ثم إن الجنس لما بيخش فى حدوتة العلاقة الكلية، والعلاقة العلاجية هى نوع من ده، بتلاقى الحكاية تمشى وتستغنى، ولو مؤقتا عن بعض جزئيات مش حاضرة، ده غير لما جزئية زى الجنس تنفصل، فى الحالة دى بتبقى مثارة من نشاط المخ البدائى عند ابن مريض، وتبقى مصيبة لما تثير الحثة اللى صاها عند حد له علاقة بيه زى كده، تحصل البهلة والمضاعفات زى ما انت شايف.

معلش معدش ما عدشى فيه وقت، الحالة صعبة وده يوريكم حاجة مهمة غير العلاج النفسى والإشراف والكلام ده، يمكن يوريكم ليه أنا مهتم بالشيزوفرينيا، من غير شيزوفرينيا مش ممكن نعرف إالى جوه قوى كده، وبالطريقة المباشرة دى، ثم تلاحظوا إن احنا بنكسر الإشاعة إالى بتقول الفصام ما يتعالجش بالعلاج النفسى إلا تدعيم وتفويت وكلام فارغ، لا، مافيش كلام من ده، العلاج علاج، وبرضه تاخدوا بالكوا إزال اللعب والتنغيم بين الدواء، والعلاقة بالمريض، والعلاقة بأهله على كل المستويات. على فكرة هى مش صعبة قوى إلا واحنا بننظر بس

اللى بيلاقى فرصه يشتغل مع عيان فصامى مدة طويلة ، بيتعلم ضمنا كل الحالات الأقل من كده، وأظن أنا قلت لو عرفت حاله واحدة فصام بعمق كاف ولدة طويلة حا تقدر تعرف كل حاجه أو أغلب الحالات الثانية، فما بالك إذا كان علاج نفسى.

الإثنية 31-03-2008

213- قصة قديمة (ليست كذلك)

قبل الحكى:

• أغرائى ما نشرته يوم السبت - أول أمس_ أن أتعرف بهذه الطريقة الغربية، على هؤلاء الأصدقاء الجدد، زوار الموقع، بأن أخرج من خزائنى، أو حتى من صندوق قمامتى، (أسف) ما أتصور أنه "أنا"، مما لم يصل إلى الناس فعلاً أبداً، برغم نشر أقله لبضع عشرات هنا وهناك.

• انتهيت اليوم لتوى من قراءة ثلاثية "أحلام مستغانمى" (ذاكرة الجسد- فوضى الخواس- عابر سرير) فحضرنى فجأة نقدٌ كثير. قلت: متى أكتبه وقد امتلأ وقتى بهذه النشرة اللحوج؟ (هذا فضلاً عما أثاره ما حضرنى من تذكر عشرات المباحث النقدية الكاملة والناقصة والتي لم تنشر منذ سنة 1974)

• ثم أنئى، وبعد عشرين عاماً، بعد حوار طيب مع جسدى داخل البحر(دهب) ، ومعه طوال أكثر من ساعة، وكان البحر عنيفاً بالغ الخنان، وجدتنى أكتب قصة قصيرة احترت أن أختار لها اسماً من بين اسمين إما "جسد الرانحة" أو "مسهسات المربع الصغير جداً"، وحين طالت حيرتى، وكنت قد نويت أن أنشرها فى هذه النشرات التي قررت أن أضفنها بعض مثل هذه الأعمال بمناسبة الحديث عن أنواع الإبداع،

• طال التردد وأزف موعد الدخول بنشرة الغد إلى الموقع، وإذا بي أتذكر مجموعة قصصى القصيرة التي لم يقرأها أحد، قلبتها ووجدت أنى لو قدمت بعضها فى الموقع أحياناً فإنها قد تصلح للوفاء بأكثر من غرض، مثلاً: أن أعيد تقديم "بعضى" مما لم يصل إلى الناس ، وفى نفس الوقت أن أوفر بعض الوقت لمهام تحتاجه أكثر، ربما هى أولى ، وغير ذلك كثير،

وهكذا مددت يدى عشوائياً، فوقعت هذه القصة فيها فنشرتها اليوم دون أن أقرأها.

شكراً لتحفلكم.

هيجل

- 1 -

عاد قرب المغرب وهو ينفخ دون سبب ظاهر، سأل عن الأم فوجدها في الخارج دون أن تحدد وجهتها، جلس على طرف المائدة وحيداً، كشف عن الأطباق المغطاة وراح يأكل دون تمييز وهو ينظر إلى ابنه في أقصى الصالة وهو يُعد واجباته المدرسية في حماس واهتمام، كان الولد قد بدأ مؤخراً يلتزم ويستقل ويواصل التقدم كل "فترة"، وكل عام، وكل امتحان، حتى أصبح قريباً من أن يكون أول فصله بكل جدارة، لم يفرح لهذا الخاطر الذي طالما انتظره وأمل فيه، بل راح يتذكر كل الأوائل الذين كانوا معه في الدراسة.

- 2 -

قابل منهم أخيراً ذلك الطبيب المشهور، فتطرق الحديث فأترا طبيباً أطلت من خلاله ذكريات للزوم لها، فلم يرد الطبيب قيمة الكشف، هل هذا هو الغتي الذي كان موضع أنظار الزميلات، تراخي جسده حتى ليعجز أن يحيط بمحتواه، ولا بد أن عقله قد تبعه، أو لعل العكس هو ما حدث، طالما شعر بالنقص الذي كان ينتابه عند المقارنة بين إمكاناته المتواضعة في الدرس والبنات، وبين تفوق صاحبه هذا الذي صار طبيباً جداً في العلم والجادبية معاً، راح ينظر إلى ما آل إليه جسد زميله الطبيب جداً، وبالتالي: حسه وأشياء أخرى، فاقترب منه همس شماتة، فأنكره، هذا الطبيب الزميل لم يكن يكف عن التنافس فإن لم يجد من يتنافس معه تنافس مع نفسه، يبدو أنه ما زال يتنافس وإن اختلفت التفاصيل، ترى مع من يتنافس هذه الأيام في هذا العمر؟

وعلى الرغم من الفتور السائد وضيق الوقت فقد ذكر له الطبيب الأشهر عدد العُمُرَات التي عملها هذا العام، كما سأله حين علم أنه مُحاسب وله زبائن يتعاملون في البورصة التي لم يألَف لغتها بعد عن أي الأوراق أضمن، هو لا يتوقف عن العُدِّ واستعمال أفعال التفضيل، لابد أنه سجل مضاعفات الركعات: سبع وعشرين ضعفاً، مائة ألف، ولا بد أنه حسب كيف يمكن أن تعوض تلك الأضعاف الصلوات المتروكة، والمخطوفة، التي يؤديها غالباً بنصف وعى.

- 3 -

عاد ينظر إلى ابنه في شكٍ رافضٍ واحترار :
حين كان الولد بليداً كان يقيم الدنيا ويقعدها حتى يتقدم في الدراسة، وحين تقدم في الدراسة هاجمته خيبة أمل متوقعة وتذكر زميله الطبيب الأشهر.

إذن ماذا؟

- 4 -

انتهى من غذائه دون أن يدري،

لم يستطع الولد أن يتابع كل ما لم يسمع، فوالده لم ينطق بكل هذا السباب، .

راح الولد ينظر لوالده، منتظراً تحويل الفوهة إلى ما يخصه هو، لابد لهذا الموقف أن ينتهي.

هدأ الرجل بسرعة غير متوقعة، واستدار مبتعداً.

- 6 -

أفل راجعاً إلى الولد قبل أن يغلق عليه باب الحجر، عاد مندفعاً وكأنه تذكر شيئاً هاماً، وكان أصل كل ما حدث هو في ذلك الشيء الهام، سحب كرسيّاً وجلس بجوار ابنه على الأريكة، ووضع جسمه في هيئة استعداد متنمر، حتى أحس الولد طعم موت بارد على وشك أن يغمره

قال الرجل في نبرات واضحةٍ وببطءٍ مرعب:

- هل "تعرف" هيجل؟

خاف الولد أن يرد بالنفي مثلما رد سابقاً، كما خاف من الكذب على حد سواء، وتيقن أن الموضوع "هكذا" لن ينتهي على خير، إذ لابد أن يتفتق عن إهمال، أو تقصير، أو تجاوز، أو ما يرى والده مادام الأمر هكذا بهذه الصورة الحاسمة القابضة على مجهول، فانبرى الولد مدافعاً:

- ليس "علينا" هذا العام.

- ولن يكون عليكم في أي عام.

راح الولد يتحسس أي ثقب نجاة وهو يحاول أن يعتذر عن ذنب لم يقترفه، وهو لا يعرفه أصلاً.

- علينا أم ليس علينا؛ كل ما تشير به حضرتك هو علينا، حضرتك أدرى، حضرتك قل لي وأنا أنفذ، أحفظه عن ظهر قلب، فقط قل لي قبلها، وسوف... .

قاطعته الرجل متحسراً:

- أقول لك ماذا؟

- أي شيء، هذا الاسم أو غيره، أو أي أحد، وسوف أفعل كل شيء، فقط قل لي.

قال الرجل في نفس الهدوء الواثق الحاسم:

- كل ما في الصحف كذب ونفاق وتلفيق، هل تعرف ذلك؟

قال الولد وهو لا يدري إلى أين يذهب به الرد:

- هكذا تقول حضرتك باستمرار، نعم، هو كما تقول حضرتك.

قاطعته أكثر حسماً

مارس 2008: أسبوع 3



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحّة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عيد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عيد الفروض والنظريات والمدخلات بالعربية إضافة إلى عيد أبحاث الدكتوراه والمجستير التي قام بها وأشرف عليها ومشاركته بعيد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكيوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكيوباتولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية لمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام - ترحلات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجر - ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويًا مثل أمس - تبادل الأئنة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحّة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور -مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

